GENTLE VIOLENCE

عُنف رقيق

مجموعة قصصية

شيرين عبدالفتاح أحمد جاد

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2021

عنف رقيق

قصص

شيرين عبدالفتاح

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني
kesasandhekayatpub.blogspot.com

عودة للفهرس

عنف رقيق

العنوان: عُنف رقيق

النوع الأدبي: مجموعة قصصية

المؤلف: شيرين عبدالفتاح أحمد جاد

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

الحالة: حصريا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 103

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

إهداء...

إلى الذين قالوا لي يومًا" :ننتظر المزيد من جميل ما تكتبين" ، فهرولت إلى أمي خائفة أصيح "هناك مئات الأشخاص ينتظرون إتمام قصّة بدأتها ولا أعرف لها تتمة،فلمعت عيناها فخرًا، ثم قالت بنصح وحب:

- اكتبي لأجلهم؟

فأخذت بنصيحتها التي لم تخيب ظني، ولا زالت تثمر...

"ننتظر المزيد"

إليكم يا خير داعم أهدي هذا الكتاب...

شيرين عبد الفتاح

الفهرست

زوجتي هادئة ٧

دموع القمر ٢٤

قوة خفية ٣٥

نظرية الاحتواء ٤٧

بيت صغير ٥٧

في مدرستنا نجيبة ٦٩

عنف رقيق ٨٢

العفريت اللص ١١٧

نبذة عن المؤلفة ١٢٧

زوجتي هادئة

منذ ذلك اليوم لم تعد زوجتي تكتم شيئًا في نفسها ...لم تعد هادئة ....لم تعد صامتة....لم تعد مريبة ....أصبحت تصرخ. تصرخ فتهدأ ثم تتحدث إليّ في حب .

تصرخ فتتخلص من أفكارها السلبية .

تصرخ فتنسي ولا تحمل شيئًا تجاهي.

تصرخ فأطمئن."

***

زوجتي هادئة للحد الذي يثير جنوني أو -لنقل أنها أصبحت كذلك - هادئة لدرجة مرعبة... لدرجة تمارس معها الصمت على أغلب تساؤلاتي.

ذات يوم طلبت منها أن تعد لي كوبًا من الشاي ، وعقبت:

_ "أريده شايًا يوزن الدماغ "

لم تتأخر، وما كانت إلا دقائق ووضعت أمامي الكوب، نظرت له ، ثم لها ومن ثم قلت:

_" أَ وتحسبين هذا شايًا؟ هذا أقل ما يُقال عنه ماء عكر ..."

وبعصبية مفرطة زدت:

_" ولن أقول أنه ماء محلي لأنني لن أتذوقه.. لو كنتِ تظنين أنني سأفعل! .....هيا أعدى لي آخر غيره "

نظرت لي بهدوء شديد وكأنها تقول هل انتهيت ؟!

أمام صمتها تساءلت مغتاظًا :

_ " ألا يوجد عندنا شاي ؟!

_لماذا لا تُجيبين ؟!

_لماذا لم تضعي فيه شايًا أكثر ؟!

_ألم تتعلمي كيف تعدين كوب شاي؟!

_هل أكلت القطة لسانك ؟!

توقعت سيلًا من التبريرات أو حتي سيلًا من الشتائم، ولو أنها لم تفعلها من قبل ، ولكنها اكتفت بنظرة حادة ثم حملت رضيعها الذي وضعته قبل قليل على السجادة، وجلست جواري بكل هدوء لتطعمه..

_"همم يا جمل ....مين حبيب ماميييي "

من المعقول أن أنسى الأمر؛ فمن غير المعقول أن أتشاجر على كوب شاي لا يحوي الشاي!

ورحت أوآسي نفسي بإشفاق لا يخلو من الحماقة "عاطفة الأمومة تعمي الأم عن كل الأهوال ... فمثلًا لو حدث زلزالًا الآن لن يفوت زوجتي تجهيز

ببرونة حليب رضيعها قبل أن تهرب ....فما بالك بصوت صراخه الذي زلزل الأركان وما اعتمله في قلبها !" .....ولكن الطفل كان هادئا ولم يصرخ قط!

ولمن يقول أن الموقف عادي، وأنني أبالغ ....أصغِ لهذا الموقف الذي حدث قبل شهر واحد.

***

كنت احتسى شاي العصر كعادتي وأنا أطالع كتاب جديد ...ما لم تعرفه عني أنني قارئ نهم ...صراخ طفلي البالغ من العمر خمسة سنوات مع ابنتي ذات السبعة أعوام ،جعلني أترك الصالة متجهًا إلى الشرفة ؛ إن لم تكن تعلم القراءة تحتاج الهدوء، ومستقبلات الإدراك لدى القارئ شديدة الحساسية لدرجة تنتفض معها أفكاره فيثور إذا ما تداخل عالمه بعالم الكلمات.

انتفضت أفكاري فشرعت أصرخ فيهم:

_ "تباً لكم ..اللعنة!"

ولو كنت أعلم أنني بهذا أخيفهم ما كنت لأصرخ مطلقًا؛ بدأ الأوغاد نحيبًا غير معهود حتى لأنني فزعت معهم....قلقت عليهم ....تعصبت منهم ورحت أصرخ في أم العيال:

_"اكتمي أنفاس هؤلاء الأوغاد....الكتاب مفيد ولا أريد أن يضيع وقت قراءته هباءً"

وضفت بقرف:

_"أريد التركيز ...داهية تاخدكم"

جاءت من المطبخ تهرول على صوت صراخي ، نظرت لي لبرهة بعينين حادتين ثم قالت _ دون أن تستفسر عن الأمر _ وهي تضغط علي كل حرف:

_" منذ دقائق ذبحت دجاجة "..وأردفت بقرف:

_" للتو أنتهيت من تقطيعها وتعبئتها في الأكياس "

لوهلة يُخيل لك أنها خائفة؛ تبرر انشغالها عن اسكاتهم لتمتص غضبي...،ولكن حقيقة الأمر _والتي ما كانت لتخفي حتى على طفلي الرضيع _ أنها كانت تهدد...تهددني بالقتل بطريقة غير مباشرة!

وهذا ليس طبيعيا لو كنت تظن ذلك !

ولأن الأمر بدا مريبًا، رحت أفكر... ترى ما بها زوجتي ؟!....ما الذي يجعلها تتجاهلني وإن لم تفعل فيكون التهديد؟!

حقًا لا أعرف !

لقد أحضرت لها جميع المستلزمات، أعطيتها النقود التي طلبت. جلبت لها هدية لعيد الحب وأخرى لعيد الزواج، ولم أنس "تورتة" عيد الميلاد!

حينما استيقظت صباحًا قلت لها صباح الورد، وأحبك حينما عدت من العمل ....وتصبحين على جنة قبل أن أنام ....

حتى أنني لم أنس رسالة الغرام الصباحية، ولم يفوتني أن أقول لها سلمت يداك بعد كل عمل ولو كان صغيرًا!

كما ترى لم أنس أي من مفاتيح سعادة المرأة ..كما أنني فعلت كل شيء كما اعتدت، وبالطريقة التي حددتها هي!

لا أعرف حقًا ما الذي يثير عصبيتها لهذا الحد الذي لا تقوى معه حتى على الصراخ!

ظللت أتخبط في أفكاري لمدة إسبوعين ...إسبوعين وأنا خائف ...مرتعب ....لا يعرف النوم إلى عينيّ طريق!

لا بد من الخلاص ...لابد من الحل ...لابد ان أقرأ عن المرأة!

ورحت اقرأ عن كيف تفهم المرأة فاصطدمت باقتباس لأجاثا كرستي: "الحمد لله انني إمرأه كي لا أضطر للزواج من إمرأة والعيش معها تحت سقف واحد !"

هنا تأكدت أن ما أفعله لا جدوي منه، أن أفعال زوجتي غريبة. أنني لا أبالغ ....وأنني محق!

وما حدث منذ أيام خير ما يؤكد ذلك..

كنا في جلسة عائلية أمام التلفاز ...إلا أن زوجتي كانت في المطبخ تعد طعام العشاء ..وعلي صوت ضحكاتنا انضمت لتشاركنا اللحظة ولو لدقائق ...فقط حتي تنهي اعداد طبق السلطة كما قالت.

ما إن رأيتها حتى صحت:

_ آااه...عصير المانجو !...أحضريه قبل أن يتجمد ..بسرعة!

ولتصبح الأمور أكثر اتضاحًا...أقول لك أنني كنت قد وضعت كوب العصير الذي أعدته لي زوجتي قبل قليل في الثلاجة.

وضعته على عجالة أمامي ، ثم ألتفت واتجهت نحو مقعدها هنا هتفت:

_" زوجتي الحلوة !.......ناوليني طبق المكسرات"

لأنه كان على الطاولة بينما كنت أنا متكأ على الأريكة.

المكسرات تسالي رائعة إضافة لكونها مفيدة، ولكن يُعيبها شيء واحد ؛ أنها تسبب العطش.

_"أنا عطشان ...عطشاان ...أريد الماء "

تفوهت بها ...ولأن زوجتي لم تنتبه كعادتها ، وجهت نظري إليها وقلت في جفاف ونفاذ صبر:

_" أنا عطشان ...احضري الماء "

هنا سمعت صراخًا قويًا ...صراخ يتمزق له القلب .....ليس كما اعتقدت!

لم تكن زوجتي من صرخت، بل كان إبني ذو الخمس سنوات ....كان يصرخ ويرتعش ...يده ملطخة بالدماء ...و...كان يشير إلي رجله ....الدم يسيل منها بغزارة ....هناك سكينه مغروسه في فخذه الايمن!

نفسها السكينة التي كانت في يد زوجتي قبل قليل!

_"ماذا حدث ؟!"

في اضطراب قلتها وأنا أسرع إليه ، ولكنه كان خائف...يرتعش ...يبكي ويصرخ فلم يجب ....نظرت لزوجتي التي لم تبدِ أي خوف وصرخت فيها:

_" ماذا حدث ؟!"

ولكنها لم تجب واكتفت بنظرات مستفزة فيما معناها " انت السبب " ...أمام لا مبالاتها صرخت مغتاظًا:

_ "احضري فوطة لأضمد بها الجرحِ كي لا ينزف "

ولكنها كانت هادئة ...هادئة جدًا ...هادئة لدرجة أثارت جنوني ...هادئة لدرجة أنها ألقت إليّ الفوطة دون إكتراث ثم ذهبت إلى حيث جاءت.

حملت صغيري ، وأسرعت به إلي المستشفى...وبعد عمل اللازم عدت للمنزل ...فوجدتها تجلس في هدوء أمام التلفاز...

_"هل أنت بخير يا حبيبي "

قالتها في فتور لإبنها حينما انتبهت لنا ....؛ لا خوف ....لا لهفة ....لا عشاء !...أين العشاء؟!!

ردت ببرود :

_"قررت عدم إنهائه" ، ثم همت لتنام.

ولك أن تتخيل ..لا طمأنينة . ..لا نوم ....لا عشاء ...ناهيك عن التفكير القاتل في أفعالها المريبة تلك !

ولكن إلى متى؟ قررت أن أواجهها.

قررت ..وحان التنفيذ ..انسلت الشمس بأشعتها الذهبية إلي الغرفة فأستيقظت زوجتي كعادتها ...ما لا تعرفه عنها ، أنها نشيطة جدًا، ودائما ما تستيقظ قبل ذهابي للعمل، وتعد لي الفطور ...بهدوء سألتها:

_"ما الذي حدث بالضبط ليلة أمس ؟ كيف أُصيب عمر ؟!"

نظرت لي ومن ثم ابتسمت وقالت:

_"لحظة... سيكون الفطور جاهزًا"

.قلت لها في ضيق:

_"ولكنني سأتغيب اليوم . ...أريد أن أفهم ! "

لم تكترث لي، ونهضت عن الفراش إلي المطبخ وبعد دقائق عادت بألذ وجبة إفطار ثم قالت لي بحماس:

_هيا شاركني الطعام"

ولم تنتظر جوابي وبدأت تأكل بنهم !

أنهي كل منا إفطاره ....وطفت أفكر في أفعالها المريبة...بينما راحت هي تستعد لغسل الملابس...قلت لها وهي على وشك الخروج من الغرفة وبيدها سلة مليئة بالملابس المتسخة:

_"حبيبتي خذي معك قميصي ذو اللون الوردي"

فعلت ما طلبت ، وقبل أن تغادر تذكرت أمر منامتي ، فقلت لها:

_"ومنامتي أيضًا.. أريد أن تعيدي غسلها"

عادت وهي لا تزال تحمل في يدها ذات السلة إضافة لقميصي الوردي ، وفتحت الدولاب وأخرجت منه منامتي....وبعد أن كادت تخرج من باب حجرتنا هتفت:

_"انتظري! ...تعالِ وخذي قميصي الأبيض ليصبح أكثر بياضًا فبعد غد لدي إجتماع مهم ، ولا تنسى أن تجهزي لي البذلة الكحيلة وأيضا ال .....هنا تفاجأت بها تلقي منامتي علي الأرض وكذا قميصي الوردي ، وبدأت تغني في فتور دون أن تنتبه لي..

_" ذهب الليل ..طلع الفجر ..والعصفور صوصو......"

وبهدوء خرجت من الغرفة لتغسل ما يخصها من ملابس !!

لم أتمالك نفسي أمام صنيعها ، ورحت أصرخ فيها وأنا ألوي ذراعها:

_"أود أن أفهم .....كل شيء ..والآن .....كيف أُصيب عمر ؟"

_دعني أنهي ما قد بدأته.

_لماذا يكون الصمت إجابة لمعظم تساؤلاتي ؟!

قالت بقرف ، وهي تخلص نفسها من قبضتي:

_لأنها مستفزة.

_لو كنت مستفز ...فأنتِ صاحبة أفعال مريبة!

لمَ تتصرفين بغرابة ؟!..لمَ تتجاهليني أغلب الأوقات؟!

لمَ غرست السكين في عمر؟ لمَ ألقيت ملابسي علي الأرض ؟!

تساءلت باشمئزاز وهي تنظر في عينيّ :

_هيه ! ....أَ حقًا لا تعرف أنك السبب في كل هذا ؟!!

قرأت سابقًا أن النساء لا يحببن وضع المواجهة ؛ فيتهربن منه ، ولا مانع عندهن من إلصاق أخطائهن بك؛ لهذا اقتربت منها ...ضممتها إليّ ....ثم قلت لها في حنان:

_انتِ زوجتي التي أحبها ....وإن كنت أنا السبب كما تقولين ، أوضحي لي ، كي أكف عن استفزازك .

نظرت لي بعينين دامعتين...فابتسمت لها بحنان ، مما جعلها تتوسد صدري لتخفى عنى بكائها، فمشيت بها ، واتخذنا من الأريكة مقعدًا....جففت دموعها بيديّ، ومن ثم نظرت في عينيها وقلت:

_"أنا أحبك ....لا تبكيم...أحكي لي كما تري الأمر، وأعدك سأتدخل فقط لأفهم "

وأستدركت بإبتسامة وانا أرفع سبابتي في وجهها:

_"حينها لا لوم إذا كانت أسألتي مستفزة !"

_حسنًا سأحكي.

قطعت بها ضحك كنا بالفعل قد غرقنا فيه ....ثم راحت تحكي ورحت أصغي لكل حرف .

_"أنت تستفزني ..دائمًا ما تفعل ....أحاول دائمًا ألا أترك لك طلب دون إجابة ...ولكنك وقح لا تقدر ؛..أجيب الاول فتطمع في الثاني ، وتؤمر في الثالث ، وتسخط في الرابع ، ولا مانع من طلب عشرين طلب في ذات الثانية...

تتمادي فيَمل رجائي ....يتوجع قلبي ....يتعصب فكري ....يثور كلي ...ثم أتجاهل ولا أصرخ ..أكتم ولا أُفصح ....أحاول أن أكون باردة كي لا أحترق ...كي لا أوجعك ....كي لا أؤذيك ...وكي أحميك من شر نفسي .

ولكنك ثور ...تهاجم ولا تشعر ....تجرح ولا تحس ...تقتل وأنت تضحك .....في اليوم الواحد أموت علي يديك مئات المرات ..كيف تطلب مني أن أناولك الماء إن كان بإمكانك أن تجلبه لنفسك ؟!

دعك من المقارنة بين الرجل والمرأة ...أنا لا أقارن . ..أنا فقط أتعجب كوني منشغلة في أمور تخصك ثم تزيد الأمر سوءً بمطالب يستطيع الطفل أن يفعلها لنفسه !

ألا تنحرج من نفسك وانت تسألني أن أعيد عمل كوب شاي بينما تسألني إنجاز مطالب أخري في ذات الوقت ؟!

حبيبتي اعدي لي كوب شاي ...حاضر ...أذهب لأعد الشاي وقبل أن أنهيه تطلب الماء ...اذهب لأحضر لك الماء ...فتطلب مني أن أرتب الشرفة حالًا لأنك تود أن تحتسي الشاي فيها...فأقول لك حاضر ...أجلب الشاي وحينما

أهم بترتيب الشرفة ، تطلب مني أن أعد لك الكعكة التي تحبها كي تأكلها مع كوب الشاي!

ارحم نفسك قليلًا وارحمني ؛ أنا لست إمرأة حديدية ....ثم أنني لا أمانع تنفيذ طلباتك تلك ، ولكنك تتبع أسلوب غبي مستفز، قل لي: كيف ستأكل الكعك مع كوب الشاي وأنا لم أعدها بعد ؟!

المشكلة أنك تنتظر التنفيذ وحسب ولا تحاول أن تفهم ! ....تنتظر وقد تلومني ...فأتجاهلك كي تفهم ..ولكنك خرتيت أرنع ...لا يفهم !

عندما أذهب للنوم ...حبيبتي هل بإمكانك عمل كوب عصير لي ...فأنهض عن فراشي لأعد لك كوب العصير ...فتتمادي في طلبات أخر تافهة مثلك ،تجعلني أندم أنني تركت نومي وأعرتك إهتمامي ....أنت أناني فوق كونك تتمادي.....ألا يحق لي أن انام ؟!...ألا يحق لك أن تخدم نفسك في حال كنت منشغلة ....تبًا لك أيها الوغد ...تظنني الخادمة التي جلبتها لك أمك ؟!

ثم صمتت ونظرت لي نظرة عطف لا تخلو من الإنتقام ..نظرة تشبه تلك التي ينظرها المحارب لعدوه الذي كان صديقه يومًا ثم قالت:

_" أعلم أنك لا تصدق ما تسمع ....ولتعلم أنني ما كنت أريد أن أقول كل هذا لأحميك من شر نفسي كما أخبرتك ؛ لكنك أصررت"

ثم سرعان ما فّجرت مدفع لسانها فيّ،وقالت:

_"لو كنت تظن أنني أنهيت أدوارك البطولية فأقول لك أن ما فعلته طوال سبع سنوات عجاف لا يُحصي ويسرد في جِلسة واحدة ....ولو كنت تحسب أنني أنتهيت فقد أخطأت ..و...

أمام ذهولي تساءلت وهي تنظر في عينيّ باشمئزاز وتحدٍ:

_"طبعًا تتساءل ما الذي جد بعد سبع سنوات لأثور؟!

استدركت وهي تصّوب نظرها بعيدًا عنى:

_"ببساطة ... ما عدت قادرة علي الاحتمال ....ومع الوقت كنت سأتلاشاك تماماً وكأنك لم تكن ؛ لا أنفذ لك حتى أبسط المطالب ..وهذا رد فعل لا إرادي طبيعي في مثل تلك الحالة ...ولكنك تحدثت إليّ وأصررت أن تفهم ،فآمل أن نجد الحل."

"فآمل أن نجد الحل " ..قالتها بصدق حتي أنني شعرت بصدقها... تأثرت بها ، هذا يعني أنها لا زالت تحبني ...لا زالت تود إكمال حياتها معي.. فقلت لها وأنا بالكاد أُخرج الحروف من فِي ، من فرط ما ألحقته بي من أذى:

_قد تكون طلباتي مستفزة وأسلوبي أكثر استفزازًا....ولكنني دائماً ما أشكرك حتى على أبسط فعل تقدمينه لي، ألم يغفر لي ذلك شيء ؟!

ردت بثقة :

_"هيه!...لو لم تفعل ذلك ....لَمت منذ سنوات! ....ماذا تقول أنت ؟!أفعالك المستفزة دفعتني كثيرًا للتفكير الجدى في التخلص منك ، ولكن تقديرك هذا

الذي(أقل ما أقول عنه أنه تقدير علي ورق) ، كان يغفر لك فأعدل عن قراري .

شكرًا...سلمت يداك ....أحبك ....تكرملي عيونك...روح قلبي .....شكرًا ياروحي ....لك بحبك ....يسلمو ....يا قلبي ...اعتدهم جميعًا من كثرة أنني أسمعهم منك خمسة آلاف مرة في الساعة الواحدة حتي لأنني أصبحت أتلاشي سماعهم! "

محقة ....ما نعتاد عليه نتعامل معه وكأنه غير موجود.

بعد محاولة لإستدراك الأمر قلت لها في ذعر :

_هل ستجعلينني أخدم نفسي ؟! حتى..حتى غسل ملابسي؟

هنا جاء أبننا عمر يعرج ، فنظرت له زوجتي بإشفاق ...هرولت إليه ...ضمته إليها في تأثر ،ثم أخذته إلي غرفته وناولته الدواء بعدما أنهي فطوره، وتركته ينام بعد ما غيبتّه من المدرسة .

خرجت من عنده بعينين مبللتين بالدموع ثم قالت والحزن قد كسا وجهها وكأنها تعتذر:

_"لم أدرِ بنفسي عندما ألقيت السكينة بعيدًا بعدما استفززتني بطلباتك المتلاحقة ليلة أمس.

وزادت بصوت مرتعش يغلبه البكاء :

_"أرجوك !....ساعدني ألا أفعلها ثانية !"

ثم بكت ....بكت كأنها طفلة فقدت مصدر أمانها ، فضممتها إليّ محاولاً التخفيف عنها..

كانت محقة إذاً....أنا السبب !...لا ذنب لها فيما حدث !...قلت بإشفاق وأنا أربت علي ظهرها:

_"سأساعدك ....أعدك سأفعل."

وبعدما هدأت أخذنا نتشاور في الأمر.

قالت : كتمت سبع سنوات ثم انفجرت .....لا تتركني أنفجر ثانيةً !

لكم أعجبتني طريقتها الطفولية تلك! ، وكذا نظرة البراءة في عينيها ...بعد تفكير قلت لها:

_"لا تخافي لن أتركك تنفجرين .....ولنحقق ذلك نحن بحاجة لأن يسمع أحدنا الآخر .....أقصد أن أستمع إليكِ من وقت لآخر."

فأومأت مؤكدة ثم قالت وهي تضحك:

_"أشكوك منك إليك! "

ضحكت لضحكتها الرقيقة ،ثم قلت بنبرة تمثيلية:

_"سأكون خير قاضٍ ....سأنصفك سيدتي..

مممم.....ماذا لو اتفقنا أن يكون يوم الجمعة موعدنا لتقولين لي فيه كل ما أزعجك مني فيما سبقه من أيام؟

راق لها الأمر فأبتسمت وقبل أن تجيب قلت لها:

_"ولو أني أفضل عدم التأجيل ...أفضل لو تخبريني حالما أزعجتك ....لا أريدك أن تكتمي شيئًا داخلك ....أريدكِ أن تقولي ....تحكى ....تصرخي!

كما تري كان يومًا عصيبًا ولكنه كان بمثابة نفس الأكسجين الذي ينقذ حياة من كادت أن تتوقف رئتاه عن العمل.

منذ ذلك اليوم لم تعد زوجتي تكتم شيئًا في نفسها ...لم تعد هادئة ....لم تعد صامتة....لم تعد مريبة ....أصبحت تصرخ.

تصرخ فتهدأ ثم تتحدث إليّ في حب .

تصرخ فتتخلص من أفكارها السلبية .

تصرخ فتنسي ولا تحمل شيئًا تجاهي.

تصرخ... فأطمئن.

من الغريب أن أقول لك أن صوت صراخها أصبح مصدر الأمان بالنسبة لي ، ولكنها الحقيقة!

أصبحت مطمئن ...لا خوف .....لا مشاكل ...لا إزعاج !!

؛طالما تصرخ زوجتك فهذا يعني أنك في أمان ...يعني أنك بخير! بعد هذا اليوم أصبحت أحيا بسلام ولأؤكد لك ذلك، أصغ لهذا الموقف:

لا أعرف ماذا فعلت بالضبط ولكن ما أعرفه أن ما فعلته استفز زوجتي فصرخت ، ولأوضح لك ما غاب عنك ؛ زوجتي عندما كانت تصرخ لم تكن تصرخ فيّ أنا . ...بل كانت تصرخ في الهواء الطلق ولكن طبعًا أنا المقصود.

كانت تصرخ في مصدر أقل مني قوة ...مثلاً كالقطة التي فجأة رغم هدوءها تصبح مزعجة ولابد من التخلص منها ، فتطردها زوجتي من المنزل.

أو كالفازا التي رغم جمالها تكسرها زوجتي دون تردد.

لنعد لموضوعنا؛ صرخت زوجتي ، وهذا أصبح أمرًا عاديًا بالنسبة لي ، ولكن ما لم يكن عاديًا أنها جاءتني بعدها بقليل وكان الضيق بادياً عليها وقالت بحزن:

_"حبيبي...اعذرني....لا تحزن مني أرجوك .....أنا حزينة جدًا من نفسي لو تعلم وأتمنى أن تغفر لي.

قلت وأنا أستغل الموقف لصالحي:

_"أنا أحبك...لهذا لم ولن أحزن منك ...هذا غير أنني أعذرك وأقدّر مجهوداتك من أجلي وأجل أبنائي."

حينها دمعت عيناها وقالت كالطفلة:

_"لن أنسي لك هذا ما حييت.....أحبك كثيرًا."

دموع القمر

_أحمد!.....أنا خائفة !

وكأن خوفي لم يعد يعنيك...

_أحمد !.....أبق معي !

وكأني لم أعد مسؤولة منك...

_أحمد !......أنتظر !

وكأنك غدوت شخصاً غير أحمد، وابتعدت .... "

***

عزيزي وبعد:

الرابع عشر من مايو للعام (1989)، هل تذكر هذا اليوم ؟!

الورود! ...الحديقة ....الجامعة!

صباح هذا اليوم تقابلنا في حديقة الجامعة ....كنت أقف بين الورود الحمراء حينما القيت عليّ السلام ، ثم وبدون مقدمات قطفت إحداهن ....قطبت جبيني إذ استنكرت فعلتك : لطالما حدثتني عن عشقك للطبيعة وحفاظك عليها !

أتُراه سيهدينيها بعد خصام الأسبوع الماضي ؟!...أم أنه س...

_جمالها الشديد أفزعني ...لهذا قطفتها !

نبرة فظة قاسية كانت بمثابة صفعة مؤلمة على خدي ، وكأنك تقول لي كفاك تخيلًا ، تلك التخيلات تثير غثياني!

ماذا دهاه !....كنت إذا أخطأت يغفر لي ب "أحبك يا أم أولادي " ؛ فيستكين قلبي وأتيقن بأن حبي _الذي أهبه لغريب عني قريب من قلبي _ لم ولن يذهب سُدى.

وإذا خفت ؛ يدثرني بحبه فيغمرني الدفء والأمان... لم أعهد منه تلك القسوة؛ لم أعهده ينهرني بدون رحمة وبدون سبب واحد للخطأ!

_أحمد ! ماذا دهاك؟ أهو ضغط العمل ؟!

_بل ضغطكِ أنتِ.

فغرت فيِ لتلك الطريقة القاسية التي_ وفيما يبدو _ تتعمد قتلي بها، لو لم تكن تجيد التحكم في نفسك كما عهدتك لزعمت ذلك...ولكنني للأسف صرت متأكدة .

_أنا ! ......وماذا فعلت!

_تصرفات طفولية... حزن دون مبرر... خصام دون سبب... مصالحة ثم حزن فخصام فمصالحة وهكذا حلقة مفرّغة من دلع النساء الذي لا طائل من وراءه غير تقصير الأجل ...وفوق كل ذلك غيرة خانقة قاتلة...حسبتك عاقلة!

_وهل تراني مجنونة ؟!

_بل آراكِ لا تنفعين زوجة !

_أحمد !

ودون كلمة أخرى وليت لي ظهرك.

_أحمد!.....أنا خائفة !

وكأن خوفي لم يعد يعنيك .

_أحمد !.....أبق معي !

وكأني لم أعد مسؤولة منك .

_أحمد، انتظر !

وكأنك غدوت شخصاً غير أحمد!

وابتعدت...

تملكني الخوف، وزحفت تلك القشعريرة الباردة على ظهري ....أخذت أبحث بلهفة عن هاتفي في الحقيبة لأخبرك بحاجتي إليك ...كدت أفعل لولا أنني تذكرت أنك أنت سبب هذا الخوف ....لأول مرة أخاف منك !

وضعت الهاتف جانبًا ، وابتلعت دموعًا كادت تخنقني ؛ للأسف لم أعتد البكاء إلا في حضرتك.

ثلاثة أشهر مريرة قاسية مرت ، رأيت فيها ما يشبه الموت ..: غصة بكاءٍ مكتوم لازال يُؤلم روحي؛ سبب مجهول ينهش كبرياء الأنثى داخلي ...ترى لماذا تركني؟ ...ألهذا السبب الذي ذكر؟ مستحيل !

حاولت البكاء فلم أجد سوى الحزن بديلًا....حاولت وكلما حاولت فشلت ، ولكنني أخيراً التقيتك وأخيرًا بكيت !

تلك المرة في شئون الطلاب ، كنت تسأل عن ما يخص مناقشة خطتك للماجستير، وكنت أنا أنتظر استلام شهادتي؛ لقد نجحت كما تمنينا!

وما إن وقَعت عينّي في عينيك الثابتتين المصوبتين تجاهي في عزم وإصرار، حتى تركت أمر شهادتي وأسرعت إليك_خارجًا_ بلهفة طفلة ترحب بأبيها العائد بعد سفر طويل ...وبدون مقدمات ...وبصوت مجروح مخنوق سألتك:

_أحمد ! ....لماذا ؟!....لقد كنت صادقة في حبي لك.

_لكنك كنتِ غيورة جدًا...متقلبة جدًا....حساسة جدًا...وأ....

_لكنني كنت (فتاة)، ...فتاة جداً ....وهذا هو كل شيء !

تمنيت لو فردت لي ذراعيك لأطمئن ....لو دثرتني بما تبقي لي من حبك ليزول برد الخوف عني ...لو قلت لي " لازلت أحبك" لأقول لك لم أستطع كرهك ....لو رحمت انكساري وأنا أبرر لك أنني ولكوني فتاة لابد أن أعاني تقلبات المزاج فأقول _أحيانًا_ما لا أعنيه ...أن أغار فتعميني الغيرة ...أن أكون حساسة فأحزن بلا سبب بالنسبة لك ..وأن ...وأن....

تمنيت وخذلتني !

وليت لي ظهرك وكأنك تنتقم منى لأنك تتهمني بأنني صفعتك يوم حفظت كرامتي ولم أركض خلفك بعد ما تركتني ....غمغمت وأنت تبتسم بكبرياء وكأن وقت رد الصفعة قد حان:

_ظننت أن لك كرامة تمنعك من الركض خلف من أخبرك أنه لا يريدك ! .....بل والأدهى ظننتك حيية، يمنعك حياؤك من الإيمان بالحب، ويؤهلك لأستأمنك علي بيتي وأولادي !

بكيت، أخذت الدموع تتساقط بغزارة وبدون جهد مني ... ومن خلف عينيّ الحمراوين رأيت الفزع في عينيك ومن خلفه الشوق ...

كل هذا شوق استطعت أن تواريه خلف عنادك؟!

_أنا آسف ....أنا رجل نصف وزني كبرياء ....لكنني أقسم لك أنني لازلت أحبك وما كنت إلا أنتقم لروحي ...سامحيني حبيبتي.

ابتعدت عنك، عن عينيك المذعورتين التي تود كل منهما أن تحتضنني وتخفف عني ....عن نبضات قلبك التي أنهكها الشوق والخوف....عن لسانك الذي لا يكف " اغفري لي حبيبتي!" .....ابتعدت وتركت الحب الذي كنت أبحث عنه خلفي !

ابتعدت ..وكنت أنا من وليت ظهري في تلك المرة...

ابتعدت و....

_حبيبتي...انتظري!

***

"ظننت أن لك كرامة تمنعك من الركض خلف من أخبرك أنه لا يريدك!"

***

ابتعدت و...

_حبيبتي! لازلت أريدك !

***

"لكنكِ غيورة جداً، متقلبة جداً......حساسة جدا و...."

***

ابتعدت و...

_حبيبتي !.....عودي ولا تركيني!

***

(_ظننتك حيية ؛ يمنعك حياؤك من الإيمان بالحب ويؤهلك لأن أستأمنك علي بيتي وأولادي)

***

ابتعدت ...وتلك المرة عزمت ألا ألتفت خلفي... ابتعدت وقصدت شؤون الطلاب ...احتضنت شهادتي في تعطش ..تلك الشهادة التي انتظرناها على أحر من الجمر: الشهادة التي _ وباختصار_ ما كنت لتحقق حلمك بالزواج مني دونها !

الآن أحتضنها .....الآن يمكنك الزواج مني كما تمنيت ....ولكنني ابتعدت...

ابتعدت دون أن أخبرك مدي فرحتي بشهادتي ...

ابتعدت دون أن أبارك لك خطتك التي نالت استحسان جميع من قرأها ...تلك الخطة التي كانت سبباً في لقاءنا، وقد اخترت عنوانها بنفسي...

...ابتعدت إلى حيث لا وجود لك ....لكن ... كيف يبتعد المرء عن نفساً سكنت نفسه؟!

وهكذا بكيت في حضرتك....بكيت وبكيت حتىكدت أنتهي ...أقصد حتى أنتهيت مني؛ كنت آراك _كلما بكيت_ تتساقط مني جزءً جزء مع دموعي المكلومة... وكلما تساقط منك جزءُ استكانت نفسي وهدأ روعي...

اليوم وبعد مرور سنوات أجهدني فيها البكاء _ أستطيع أن أقول _ أنني (ربما) أصبحت خالية تماماً منك ...

تجردي منك أستنزف جل طاقتي ...ورغم ذلك لازلت أشعر بك ..متي تضحك ...متي تحزن ...ومتي تشتاق إليّ....قل لي:

ألن تكف عن كل هذا الحنين والإشتياق لترتاح وتريحني معك ؟!

فيما يبدو أن أحدنا أصبح يحب الآخر أضعاف ما كان ...وفيما يبدو أن هذا الشخص هو أنت !

وهذا طبيعي ويفسر تفكير الرجل الشرقي الذي يحن لتلك الفتاة التي رفضت حبه ....الفتاة التي _ وبعدما تركته بإرادتها _ أكتشف قيمتها

.....الفتاة التي_ وبعدما ابتعدت _ عرف يقينًا أنه _ ورغم كثرة الفتيات _ لا بديل لها!

والآخر يملك إدراكًا فائق الحس ...وهذا الشخص بالتأكيد أنا ؛ وهذا يفسر أنني ورغم ابتعادي عنك بإرادتي ....أنني ورغم محاولات عدم التفكير فيك ...أنني ورغم مرور كل هذا الوقت علي فراقنا ...؛ لازلت أشعر بأدق تفاصيلك.

قل لي يا عزيزي:

متي تتحول علاقتنا التي بدأت (نحن) إلي (هو وهي) كما يحدث مع الجميع؟

ما بال علاقتنا تتخذ منحناً مختلفًا ولا ترضي بديلًا عن (حبيبي _حبيبتي)

!ما بال دموعي_ ورغم وفرتها_ لا تستطيع أن تستأصلك مني!

لقاء بعد فراق

أتريدنني أن ألوم قلبي؟!

كيف وكل من يعرفك يحبك!

***

اليوم تقابلنا بعد فراق دام اسبوعين ، مررت من أمامه ، استوقفني يطمئن علي أدائي في أول امتحان لي ، تحدثنا إلى بعضنا البعض وكأننا لم نفترق لحظة ؛ ابتسمنا ، ضحكنا وسردنا الكثير ، لحظة صمت خيمت علينا ، قطعتها نظراته المتفحصة لي واخيرا تحدث:

_رقيقة!! ، حنونة! ، هادئة وخفيفة الظل أيضا!!

ابتسمت إبتسامة خجلي، وبينما أفكر بما سأرد عليه ، تفاجأت بتحول ابتسامته لنظرة حزينة ؛ نطقت عيناه ألمًا ثم تفوه قائلًا:

_لا أعلم لمَ ابتعدنا ؟!....وما سبب افتراقنا ؟!

أهي فعلة القدر لأنه رأي أن أحدنا لا يصلح للآخر؟!

أم أنه كان خطئنا نحن ؟!

هل ألوم القدر لأنه قدر لنا الفراق رغم أنه يعلم أني لا أرى نفسي إلا فيك!!

أم ألومك أنت لأنك تربعتي في قلبي وتأبين الخروج منه لدرجة أنك لا تسمحين له بتقبل تلك التي ستصير زوجتي؟!

أم ألوم قلبي الذي يغلق عليك جيدًا لأنه لا يستطيع أن يحيا بدونك ؟!

استكمل بصوت مخنوق باكٍ:

مرت سنتان علي فراقنا وكأنهم اسبوعين ، بل ثانيتين...

وتزالين أنت التي يعشقها قلبي...

نظر لي بعمق ثم تساءل:

دليني ...ماذا أفعل ؟!

نظرت لدموعه المتساقطة وقلت:

أتريد أن تعرف ماذا تفعل ؟!

أشرت بيدي تجاه قلبه وأكملت:

"لم هذا القلب الذي ضحي بي أمام أول عقبة اعترضت طريقه ، لمه بشدة لأنه لم يقّدر أنني أعلنت أمام الجميع بأني لا أريد سواه من العالم "

بابتسامة مشرقة من خلف دموعه تساءل:

" ألا تزالين مُحبة ؟!

وفي تلك اللحظة حاوطتني مجموعة من أطفال جيراننا ، ارتمي عليّ بعضهم بالتقبيل وطلب الحلوي بينما طلب الآخرون تمثيل قصة جديدة كعهدنا السابق.

نظرت لهم ضاحكة وقلت:

"ألم تنسوا تمثيلنا للقصص بعد ؟!

اجتذبوني بقوة من أمامه ، حينها نظر لي مطولا وبأسي تساءل:

"أتريدنني أن ألوم قلبي ؟!

كيف وكل من يعرفك يحبك ؟!

قوة خفية

_مرحبًا أيها العجوز!

قالها كورونا بغلظة.

_عجوز! أحقا لا تعرفني من أكون أيها الأحمق ؟!

اندهش كورونا من نبرة العجوز الساخرة واستنكاره لوجود من لا يعرفه ، وأكثر ما أثار غضبه نعته له بالأحمق ....لم يتمالك كورونا نفسه أمام صمود العجوز فصرخ فيه بعينين حمراوين ، جاحظتين...

_ سأقتلك؟

نظرات ساخرة ، ثابتة من قبل الرجل تلاشت أمامها قوة كورونا فتساءل في تعجب:

_ألا تخافني!!

هز الرجل رأسه مؤكدًا ، ثم تمتم بحكمة عجوز:

_ "لا أخاف الضعفاء "...الجميع هنا ضعفاء ، وأضعف ضعيف أقوي منك"

وقعت الكلمات على أذني "كورونا" كالصاعقة ، فارتعش قلبه واهتزت أوصاله ثم تساءل بخوف :

_م....مممم ...من تكون سيدي ؟!

عدل الرجل هيئته قبل أن يجيب بكل فخر:

_جالب النحس.

_جا! ج ج ج ااا... جالب النحس!

خرجت الحروف غصبًا من حنجرة كورونا ؛ وهنت قوته فما عاد قادرًا حتى على الكلام ، ومن ذا الذي يقدر أمام جالب النحس! كان يوما مشؤومًا حقًا عندما قرر(كورونا) الخروج من الصين والاتجاه لمصرنا الحبيبة حيث أبنائها الصامدون.

_"يبدو الأمر مخيفًا " ، "تبدو النهاية قريبة".

هذا ما همس به كورونا لنفسه حينما تذكر جملة جالب النحس " أضعف ضعيف هنا أقوي منك " .....ولكن ماذا عساه أن يفعل؟!

لابد أن يكون قويًا لمرة واحدة حتي لا تكون نهايته قريبة.

_ماذا لو أصبحنا أصدقاء ؟!

قالها كورونا بعد تفكير عميق، تأكد بعده أن لا قوة له ...

ليس لديه قوة.... ولكن ما المانع من استخدام ذكائه!

نظر له جالب النحس ثم قال فى فتور:

_سأقبل.

فرح كورونا قبل أن يستكمل جالب النحس جملته:

_" ستكون بحاجتي لأنك أحمق"

لم يبدِ كورونا استياءه رغم غيظه الشديد؛ من الذكاء ألا يفعل! الآن هو صديق جالب النحس ، كل ما عليه فعله أن يحافظ على تلك الصداقة حتى ولو كان السبيل الوحيد إلى ذلك إهانته !

قال كورونا بعد ما امتص غضبه:

_هيا نبدأ رحلتنا القاتلة.

نظر له جالب النحس ببرود ثم قال بسخرية :

_رحلتنا القاتلة!ماذا تظن نفسك !

_أأا.....فيك البركة سيدي ....معا سنفعل ذلك ....سنقضي على كل البشر ؛ ننتشر ، ننشر الخوف ثم نميتهم... لابد أن ننتصر ... (هاهاهاااااااهاااا)....ثم أردف:

كورونا +جالب النحس =هلااااااك (هاااهااااهاااااا).

(التف جالب النحس) للجهة الأخرى قبل أن يقول في يأس :

_جالب النحس كان يساوي الهلاك ....كان .

ذُعر (كورونا) من نبرة صديقه المليئة باليأس ، وراح يفكر فيما قد خطط له ، وهمس يعاتب نفسه بخوف:

"لماذا تركت الصين!" لتثبت للعالم أجمع مدي قوتك! لتقتل وتفتك فيهابك البشر! يتحدث عنك الجميع فيذاع صيتك وتنال أكبر شهرة في العالم، فتنافس الطاعون! وأي منافسة؟!

طاعون أيام الجهل حيث بالكاد كانت توجد وسائل النقل ....وأنت ياسيادة الكورونا في زمن التكنولوجيا والعربات الطائرة!

بدون مساعدة صديقي سأخسر المنافسة وما تبقي لي من قوة وربما نفسي .....يا إلهي ماذا أتي بي إلي المصريين ، يقول صديقي " أن الجميع هنا ضعفاء" ، ولكن أيضا "أضعف ضعيف هنا أقوي مني" ماذا أفعل؟!

كانت خطتي أن أسجل انتصارات ساحقة على حسابه ؛ ينشر هو النحس ... ييأس الناس ... فأحل عليهم بعدما ذهبت قوتهم ولا أتركهم إلا أمواتًا....فيصبح هو البطل الخفي ويذاع صيتي...

ثم استكمل بفرحة وفخر:

_"يُذاع صيتك سيادة الكورونا ، ملك ٢٠٢٠"

وإذ فجأة جمدت ملامحه السعيدة وسأل نفسه باستنكار:

" يبدو الأمر سهلًا، ولكن ما المخيف في المصريين لييأس صديقي منهم هكذا؟..لابد أن أعرف.

اقترب (كورونا)بخطى ثابتة من صديقه جالب النحس ، وضع يده علي كتفه ثم قال :

_سيادة جالب النحس يائس، لماذا؟ والله ما جئت إلى مصر إلا لأنني أعلم مدي تأخرها وهذا سيساعدني علي الفتك بهم ، ألم تسمع عني ماذا فعلت بالصين! الصين التي بدونها ما كانت لتكون مصر !

رد جالب النحس بنفس النبرة اليائسة ، بل بنبرة أشد يأسًا:

_مصر تمتلك قوة خفية !

_قوة خفية في مصر!

_نعم ...تلك القوة يحملها المصريون في صدورهم ....بالتحديد في قلوبهم ، وتنسب القوة إلي مصر بسبب شدة حب المصريين لوطنهم ، ودفاعهم عنه رغم المصاعب التي يلقيها علي كاهلهم فيقال مصر مركز القوة.

ذهل كورونا مما سمع ، يبدو الأمر مخيفًا حقًا،ولكن ماذا لو حس صديقه جالب النحس للتفاؤل بطريقته :

_وهل تستعصي تلك القوة علي سيادة جالب النحس ؟!

زفر (جالب النحس) بضيق قبل أن يقول بإقتضاب:

_لقد استعصت !

وأمام دهشة كورونا أستطرد :

_كنت قويًا قبل أن تفوق قوتهم قوتي .....كنت أحل علي الفرد منهم فيموت قهرًا، استخدمت وسائل كثيرة ومتنوعة ؛ فأما العجوز فأصيبه في بدنه وماله فيحزن حزنا ديدًا مهما صارعه مات!

وأما الشباب فأسلب منه أعز ما يملك فأجعله يحلم بلا طموح فإذا ما رأي العجوز حالته شكر الله علي نعمة الصحة، وأما الأطفال فأوسوس في عقولهم ليكره الجميع تصرفاتهم ومن ثم يكرهون هم الحياة.

كنت أفعل ما أشاء وبالقدر الذي أريد، نشر النحس ليس بالأمر الهين ، ولكنه بالأمر الواجب للخلاص من البشر .

حركت جملته الآخيرة انتباه (كورونا) ، فقال علي الفور:

_إنه أمر واجب هيا بنا ....ثم همّ واقفا وهو يقول "نحن قادمون "

استوقفه جالب النحس ، أمره بالجلوس ثم قال :

_لم يصبح الخلاص من البشر بتلك السهولة التي تظنها!

قال كورونا بضيق :

_أَ ولست قادرًا علي جلب النحس ونشره !!

رد جالب النحس بسخرية:

_وبماذا يفيد أمام قوتهم الخفية !

قال كورونا بحدة :

_ما أمر تلك القوة الخفية ؟!.....لم أعد أفهم شيئًا .

قال (جالب النحس) ليهدأ صديقه:

_لابد أن تفهم شيئًا أولًا... "الزمان لا يجور ، الوطن يفعل !"

نظر له كورونا باستغراب فأستدرك جالب النحس:

مصر هي البلد الوحيد التي ينتظر فيها الطفل حتى يكبر من أجل أن يصبح شابا له وظيفة فزوجة فأسرة فحياة هنيئة مستقرة فعجوز له أحفاد وينال من التقدير ما يحيل ضعفه لقوة ......ولكن هذا لا يحدث ...مساكين المصريين لا يفعلون شيئا في حياتهم سوي الانتظار!

يقولون أنهم سيحصلون علي كل هذا في الجنة .

تلك الكلمات بدلا من أن تهبط عزيمة كورونا -كما ظن جالب النحس- ردت الروح فيه ، فقال فرحًا:

_هذا جيد سأقضي عليهم بمفردي ، لا حاجة لي بنحسك يا جالب النحس .....الوطن فعلها ونشر النحس بصورة أقوي منك ...هاااهااااهاااااااا .....الطفل يظل مقهورًا ، والشاب يتحسر علي شبابه والعجوز لا سند له ....هذا نحس ما كنت أتوقع أن أجد ولو نصفه .....هاهاهاااا ....أدار ظهره لصديقه وهو يقول بتأثر:

_مساكين المصريين ....يعانون طيلة حياتهم .....سأقضي عليهم لأريحهم ....هذا واجب عليّ ....لا أحتمل أن أري أناس ينتظرون حقهم من الحياة فتستكثره عليهم ....هذا محزن محزن، محزن جدا.

باءت جميع محاولات (جالب النحس) لإيقاف صديقه (كورونا)بالفشل، وقبل أن ينطلق مسح كورونا الدموع من عينيه ....لابد أن يبدو صامدًا قويًا

ليستطيع إنقاذ هذا الشعب من يأس لم يسمع حتى عن جزء ولو قليل منه من قبل ....لابد أن يقتلهم !

مشي كورونا بين المصريين فاردًا جناحيه ، ينظر لهم بأسف وهو يردد "لا تقلقوا جئت لأنقذكم "...وراح يدخل إلي رئتي كل شخص يقابله، حتى الأطفال لابد أن يكون رحيمًا بهم..

ظل كورونا عالقا في رئتي المصريين ، فانتشر السعال بينهم بطريقة مريبة اضطروا معها جميعًا للمشاركة في دفع المال والذهاب إلي الصيدلية لشراء علبة واحدة من الكونجستال علي أن يكون نصيب كل فرد قرص واحد فيه الشفاء، وحينما استاء الوضع لم ييأس المصريون وبدأوا في التشارك في أكواب المشاريب الساخنة ؛ فالأب يتشارك الكوب مع ابنه ؛ والصديق لا يبخل صديقه.

وهكذا ظل كورونا يراقب كل شيء ، والغريب في الأمر أنه ظل عالقا في رئتي المصريين لا هو بقادر علي القضاء عليهم ولا علي الخروج منهم .....ساءت حالته حينما سمع غناء طفل كان يسكن رئتيه يقول:

"باكرونا ...باكرونا ....مكرونا ...مكررونا...مكررونا ياكرونا...يا كرووونا ...مكرووونا"

حينها أستوطن اليأس قلبه، فشعر معه بغصة شديدة وآلام لا حدود لها ، وعلى الفور تذكر حديث صديقه جالب النحس عن قوة المصريين الخفية ....لقد قال عنها أنها تفوق قوته .....في تلك اللحظة همس لنفسه بيأس وقال:

_ "كم أتمني أن أراه لأفهم السبب !

ظل كورونا يناشد جميع الفيروسات أن تهربه خارج الرئتين مع السعال ....يتمني أن يخرج ليعرف سبب سعادة المصريين بدون وجه حق ....كيف لمن يحيا حياة تخلو من الحياة أن تزوره السعادة!

وفي إحدي الأيام انتبه كورونا لفيروس يسير ببطء تجاهه فناداه وترجاه قائلًا:

_"أرجوك يا صديقي أود أن أخرج من هنا ....لا أود الموت هنا ..سااعدني أرجوك "

_"حسنا صديقي..سأفعل ولكن بعد منتصف الليل "

لم يستطع كورونا النوم من شدة فرحته ، أخيرًا سيتحرر من سجن مؤبد وضع نفسه فيه بكامل إرادته ، وبينما يفكر فيما سيفعل بعد خروجه من رئة هذا الشاب الثلاثيني إذ بصوت الهاتف يدق ويدق بدون إجابة ....استاء(كورونا) وبدأ يصرخ :

_"ياله من صوت مزعج مع هدوء الليل! هيا استيقظ ورد ...تبا لك ! "

وبعد محاولات توقف الصوت المزعج وتبدل بآخر هادئ ، أنه صوت الشاب :

_مرحبًا حبيبتي ، آسف غلبني النوم ...و "كح ..كح..كحكح..كح .....ولم أسمع رن...كح كح كحكح".

_لا يهم حبيبي... ما كل هذا السعال ؟!....إنه كورونا ، أليس كذلك !

_يبدو هو حبيبتي ......لازال عالقًا في رئتي .....يومًا ما سيخرج .

_بالطبع حبيبي ...لابد أن يفعلها بمفرده ، وإلا قتلته بإصبعي الصغير ....فأنا أحبك كثيرًا.

في تلك اللحظة ارتعش (كورونا)، ثم همس لنفسه:

_ "الحمد لله. سيخلصني صديقي من هؤلاء الوحوش ....كنت أدخل في رئتي الرجل الصيني ومع أول سعلة يتملكه الخوف فيخر ميتًا !

_إلي أي مدي تحبينني حبيبتي ؟!

_أحبك لدرجة الهلاك ؛ أنازع كورونا في ذلك عن ثقة !

قالت ذلك وظل إثناهما يضحك ، بينما ظل (كورونا) يردد:

_"يا إلهي ، ألهذه الدرجة أنا حقير بين المصريين ، لم يكذب صديقي جالب النحس إذاً في نعتي بالحقير ....كم اشتقت لك يا صديقي! "

وأخيرًا جاءت اللحظة ليري فيها (كورونا)النور ، لقد وفى صديقه الفيروس بوعده وأخرجه قبيل الفجر بساعة واحدة ، لم يصدق (كورونا) أنه يري العالم من جديد ، فراح يقفز في فرح وهو يجوب الطرقات بحثًا عن صديقه جالب النحس ، عيناه لا تصدق ما تراه ؛ صديقه جالب النحس يجلس بجانب بحيرة صغيره وبجانبه عصاه، راح يسرع إليه وهو يصيح :

_جاااالب النحس ، أنا كورونا ....أنا كورونا يا جالب النحس.

التف جالب النحس للوراء فرأي كورونا بهيئة ضعيفة ، ما كان سيعرفه قبل أن يعرف عن نفسه ...فقال في ذهول :

_كورونا! ما الذي فعل بك هذا ....تبدو شاحبا جدا !!

_الحمد لله أنني لازلت حيا يا صديقي ....إن المصريين ضواري بشرية .....ليس لديهم أنياب ولكن لديهم شيئًا لا أعرفه جئت أسألك عنه...

وبدأ كورونا يحكي كل ما رأي من المصريين لصديقه جالب النحس ، ثم سأله كيف لا يخافون مني !! فقال صديقه :

_ الحب لا يجعلهم يخافون! المصريون يحبون بعضهم البعض حتى لو قالوا عكس ذلك ، المصري يقف بجانب أخيه المصري ويدفع عنه كل الشرور ببسالة وإن كلفه ذلك روحه !

_هذا شعب ميت على قيد الحياة ، كيف له أن يحب !!

_كل الحب يكمن في قلوب المصريين ، قلت لك سابقًا أنهم يحبون وطنهم الذي يلقي علي كاهلهم كل العوائق ، فكيف حالهم ببعضهم البعض! ثم كيف لشعب جميع أحلامه لم تستيقظ بعد أن يخاف؟! ممَ ، وعلى أي شيء يخاف! كل تلك أسباب قوة المصريين الخفية .

_كرهت مصر والمصريين ...أود الفرار من هنا قبل أن أخسر نفسي وحصيلتي من الشهرة.

_ ألم أقل لك أن مصر مركز القوة!

_قل لي يا صديقي كيف كنت ستساعدني في البداية لقد قلت أنني سأحتاجك لأنني ...أحمق !

رد جالب النحس بيأس:

_كنت سأرافقك لأعرف طريق الخروج من مصر ؛ فما عدت قادرًا علي تحمل يأس ونحس يتعايش معهما المصريون وهم يضحكون! أنا نفسي جالب النحس لم أعد أحتمل فظهر الشيب على رأسي وبرزت تجاعيد وجهي وأنا لم أتجاوز العشرين بعد! لقد أستطاع جدي أن يحيا بينهم ملايين السنين دون أن تشيب له شعرة واحدة وكذلك أبي ، حينها كان الوطن يعطي ولا يبخل الناس حقوقهم فكانت قوتهم الخفية كامنة. أخاف أن أموت مما أري بينهم!

قال كورونا بعطف :

_هيا يا صديقي لنهرب سويا من هنا.

_إلى أين ستأخذني!

_بلاد الله واسعة... هيا نهرب!

نظرية الاحتواء

لماذا إذاً هي تفهمه عندما يُجيب " أي حاجة" ردًا علي سؤال" ماذا تشتهي أن تأكل اليوم؟ "....فتذهب إلي المطبخ _وهي علي يقين أنها ربما لن تخرج منه قبل شروق شمس اليوم التالي_ ، وتبدأ في تحضير (المحمر والمشمر) والمقلي والمشوي وكل أنواع المأكولات البحرية، ثم تدعو الله أن يروق مجهودها (لراجل البيت) فيأكل ويشبع ولا يسأل:

_أين ال (أي حاجة) التي طلبتها على الغداء ووصيت عليها خصيصًا، ألا تعرفين أنني أحبها جدًا؟!

***

الرجل أمام عاطفة المرأة الجياشة هو العقل الجلمود الذي لا تكف توربيانته عن الدوران. أحمد كأي رجل عقلاني؛ ذكي جدَا حد أنه يفهم مصطلحات مثل: "البرجوازية، البيروقراطية، الدواوينية...النازية، الفاشية، اللوجستية، نظرية الوفاق... وغيرها.

زوجته منى تفهم ذلك وتقدره، ولكنها لا تغفر له كونه يفهم كل تلك المصطلحات ولا يفهم مصطلحاتها الرقيقة المتنوع ظاهرها، المتوحد جوهرها والتي منها:

"(مفيش).......(ماليش) .....و(أنا كويسة) التي تقولها وهي تبكي حد الإنهيار!

كيف له ألا يعرف مصطلحات بتلك البساطة!

كيف له _وهو يملك كل هذا القدر من الذكاء_ ألا يفهم ما تعنيه ويقدمه لها !

كيف يتهمها بالجنون ويتركها وحيدة تبكي عندما تقول (مفيش ...ماليش .....و..أنا كويسة)!

كيف لا يفهم أنها هي نفسها لا تعرف مما تشكو!

ولو عرفت لصرحت..

لماذا إذاً هي تفهمه عندما يُجيب " أي حاجة" ردًا علي سؤال" ماذا تشتهي أن تأكل اليوم؟

فتذهب إلي المطبخ _وهي علي يقين أنها ربما لن تخرج منه قبل شروق شمس اليوم التالي_ ، وتبدأ في تحضير (المحمر والمشمر) والمقلي والمشوي وكل أنواع المأكولات البحرية، ثم تدعو الله أن يروق مجهودها ل (لراجل البيت) فيأكل ويشبع ولا يسأل:

_أين ال (أي حاجة) التي طلبتها علي الغداء ووصيت عليها خصيصا، ألا تعرفين أنني أحبها جدا؟!

فلتقتله اليوم قبل الغد؛ رجل لا يفهمها لا يستحق الحياة ....من الأفضل أن تنفذ غدًا؛ فهي تحبه، وهو يستحق أن يشاهد المباراة التي لطالما أنتظرها قبل أن يموت...فلتكن أرحم منه ولتشاركه المشاهدة لأول مرة، فمهما كان خطأه هي تتفهم مدى حب الرجال لكرة القدم!

على أريكة وثيرة جلس إثناهما..وأمامهما على طاولة ليست بالبعيدة أنواع لا بأس بها من العصائر....التسالي ....المقليات والساندويتشات التي وفيما يبدو أنها أُعدت بالحب.

بدأت المباراة فأخذت تنظر له في ترقب:

تُري كيف يفهم تلك المصطلحات الغريبة " فاول ....ضربة جزاء.."!

كيف يتفاعل معها؟

كيف...

تفاجأت به يحتضنها وهو يصيح " جوووووووول"

كيف كانت بلهاء ولم تشاركه المشاهدة من قبل؟

ثم طبع قبلة علي خدها بكل رقة...

كيف قررتُ قتله؟ ....فليذهب الشيطان للجحيم ..هذا حبيبها ولن تدع سوء يمسسه ولو كانت روحها المقابل!

كم كانت أنانية...فلتكّفر عن أنانيها بأن تصبح له الصديق الذي يفهم لغته ويشاركه إياها، فلتبدأ بمصطلحات كرة القدم؛ لا تبدو كرة القدم بالسوء الذي ظنته!

وبعد ساعات بحث على جوجل جذبها مصطلح طرب له قلبها حبًا، ولكنها لم تفهم له تعريفًا:

_ " نظرية الإحتواء" ....ماذا تعرف عنها يا حبيبي ؟

كان (أحمد) عائدًا من العمل عندما سألته، قال لها كلامًا عن الحرب الباردة التي جمعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي...قال لها كلامًا عن الحكومة ....عن النخب والسلطة عن... .قال لها كلامًا لم تستوعب منه حرفًا واحدًا..

هكذا هم الرجال دائمًا يبحثون عن التعقيد ألم يجد إجابة أبسط وهى أن يحتويها!

لن تيأس!

هي تعرف أن اهتمامات الرجل تختلف جذريًا عن اهتمامات المرأة ، وتعرف أيضًا أن الرجل طاقة عقلية أكثر منها عاطفية ، وأنها مهما فعلت لن يكف (أحمد) عن استخدام مثل تلك المصطلحات في كلامه ؛ رجل يهرب من العالم ليعبر بمصطلحات مثل (ديمقراطية ....استنزاف....سلطات عليا .....)عن ضيقه ...عن حزنه ...أو حتى فرحه لهو رجل يستحق عناء البحث والتعلم لتتقرب منه.

شهر _بحث وتعلم ذاتي مكثفين_ كان كاف لأن تكّون زخيرة لا بأس بها عن السياسة وحال البلاد ... كان كاف لأن تتجرأ وتناقش زوجها في مواضيع من اختيارها هي....كانت ثقافتها تزداد وتصقل يوما بعد يوم في هذا الاتجاه.. لشد سعادتها!..حتمًا زوجها سعيد بها حد الإنبهار.

ولكن هل حقا أحمد سعيد بما أصبحت عليه منى؟!

على غير عادته هاتف مني زوجته صباح هذا اليوم بعد أن خرج للعمل بساعة واحدة وقال لها:

_استعدي لمفاجأة اليوم.

_غريب أمرك! منذ متي تحب المفاجآت؟!

_مذ أحببتكِ.

وتك...! أنهى المكالمة.

لم يمهلها فرصة للاستفسار فهو يعرف طبيعة النساء جيدًا؛ لا يكففن عن الحديث إذا ما أُتيحت لهن الفرصة، فلينهى أعماله أولًا ثم يستعد هو الآخر لتلك المفاجأة ...وكم يتمني أن تروق لها....كم يتمني أن تتفهمه..

بعد آذان العصر كان واقفًا في صالة منزله ينادي:

_مني!....أين أنتِ.. ..تعالِ حبيبتي.

جاءته ركضًا من المطبخ:

_دقائق يا أحمد وسيكون الغداء جاهزًا..

آسفه حبيبي...

مذ أخبرتني بأن أستعد لمفاجأتك، أصرفت في التفكير حد أن رأسي آلمني و، و... لكنك رجل ديمقراطي و..

سحبها من ذراعها وهو يقول:

_هذا هو بيت القصيد ... دعكِ من الغداء.

أمام ذهولها تساءل:

_غريب أمرك! ..ألا تودين معرفة مفاجأتي أم أنكِ لا تحبين المفاجآت!

_ظننتك تمزح.

قال وهو يعطيها علبة هدايا أنيقة متوسطة الحجم:

_لم أكن أمزح......أتمني أن تعجبك.

مزيج من الدهشة والفرحة كستا وجهها وهي تقلب العلبة بين يديها، بادلته إبتسامة رقيقة قبل أن تفتحها ويتجهم وجهها، ثم بدأت تُخرج محتوياتها وهي تقول بتهكم:

_طلاء أظافر، قلم حمرة، سوار فضي رقيق، خلخال، (بروفيوم)، قرطين فضيين، و، و... مشط! مشط يا أحمد مشط!..أنسيت أنني أملك كل تلك الأدوات ولا ينقصني منها شيء!

وبلامبالاة ممزوجة بقليل من حدة استدركت:

هيه!....مفاجأة غير سارة علي الإطلاق!

تنهد بمرارة قبل أن يقترب منها حيث ابتعدت ويقول:

_لم أنس ِ.. ...أنت من نسيتِ وأردت أن أذكرك.

_ماذا تقصد؟ هل تقصد أنني لم أعد جميلة وعليّ الاعتناء بنفسي أكثر!...أم......أم....أم أنك تزوجت عليّ؟

قال بنفاذ صبر:

- لم تفقدين جمالك... ولم ولن أتزوج عليك!

أمام نظراتها الصامتة ودموعها الغزيزة تلعثم ولم يعرف من أين يبدأ:

- كل ما في الأمر أنني ..أ...أ.....افتقدتك .....أقصد...أ..... أنني أفتقدك ......أ.....أ.....

الأمر باختصار:

أريدكِ أن تعودي مثلما كنتِ.

تلاقت عيناه بعينيها فغمرته سكينة وكأن عيناها تستحثه علي البوح، فأنطلق يعبر عما بداخله من مشاعر:

_أفتقد مني الرقيقة التي تقضي وقت فراغها تشاهد كارتون كسندريلا ...أو سنو وايت..وتتفاعل معه ثم تفاجأني بأن تتقمص دور سندريلا بينما تجبرني أن ألعب دور الأمير ...

أشتاق لتلك الطفلة الشقية التي تصر أن تحكي لي (حدوتة) قبل النوم وكأنى طفلها الصغير..

ينقصني تلك الثرثارة التي تعطلني عن العمل لتسألني..

"ما رأيك في تلك الجدائل؟....أم أترك شعري منسدلًا؟"

يقتلني الحنين لتلك الذكية التي تشاكسني وتتدلل عليّ بطريقتها الأنثوية العفوية..

نظر لها نظرة حنونة لا تخلو من كثير عتاب وسألها:

..منذ متي لم تستفتيني في أمر شعرك؟

منذ متي لم تطلبين مني أن أساعدك في وضع (المنيكير) في يدك اليمنى لأنك لا تجيدين وضعه باليد اليسري؟ منذ متى لم تحكين لي (حدوتة) قبل النوم، وفي المقابل تحكين وتثرثرين عن الأحوال السياسية للبلاد..

ثم لمعت عيناه:

- منذ متى لم نلعب دور الأمير والأميرة!

قالت تلومه:

_"(الحق عليا)... كنت أريد التقرب منك ومشاركتك كل كبيرة وصغيرة في حياتك."

_فتحرميني روح الأنثي؟! تتحدثين وتتصرفين كرجل؟

على فكرة حياة الرجال بائسة وإذا اجتمع رجلين كان البؤس ثالثهما..هذا فضلًا عن أن لديّ الكثير من الأصدقاء الذين لم يتزوجوا منهم يحسدونني لأن المرأة(بتعمل حس للبيت)، و تجعل للحياة طعمًا ولونًا، ووحدها بقليل من جهد تجعل الأيام تضحك والألم يسكن والحزن يفرح.

المرأة سر الحياة ....فهلا أحييتِ روح الأنثى التي قتلتيها لتسكن هذا البيت من جديد فتتلون فيه الأيام؟!

نظرت له نظرة مطولة دون كلمة واحدة . فسحرته وأخذ يضحك في بلاهة، قبل أن تقول:

_استعد لمفاجأتي.

بصوت مرحٍ تساءل وكأنه يستحث الأنثى داخلها أن تناغشه:

_وهل لا زلتِ تذكرين كيف تكون المفاجآت!

بادلته ابتسامة رقيقة وبدلال تساءلت:

_وهل تشك في قدرات طفلتك الثرثارة المجنونة المحبة؟

ثم بدأت تغني وهي في طريقها إلي المطبخ بصوت رقيق:

_وتعالِ نرجع زي زمااان ...ونقول كمان كان يا مكاان.

عشر دقائق مرت قبل أن ينهي (أحمد) صلاته ، كان علي وشك التسليم عندما شعر بحركتها من خلفه ثم:

_السفرة أصبحت جاهزة حبيبي.

_منى!....يال جمالك الآخاذ!

قالت وهي تستعرض فستانها:

_اسمي جوليت ومحبوبي يُدعي روميو ...هو أيضا يحبني كثيرًا جدًا...أليس صحيحًا يا روميو؟

في حركة تمثيلية رفع يدها اليمني قبلها ثم قال:

_بلي كثيرا جدًا جدًاااا..وفجأة وقعت عينه علي يدها:

ولكن...

بقلق تساءلت:

_ولكن ماذا؟

_ أظافرك اليمني تخلو من طلاء الأظافر بينما اليسري مطلية ِ....لمَ لم تسأليني مساعدتك؟

كادت تقول له انها انتظرته حتى يفرغ من صلاته، ولكنها تداركت نفسها وبدلال أنثي ذكية قالت:

_سأفعل لو نجحت في الاختبار!

_أي إختبار؟

نظرت له نظرة خبيثة ذات معني ثم قالت وهي تبتسم:

_ماذا تعرف عن نظرية الاحتواء؟

بادلها نظرتها بأخرى جادة ثم قال:

_لا أتوقع أن هناك رجل لا يعرف ماهية نظرية الاحتواء...و..

وهنا فطنت لشيء غاب عنه..وقبل أن تتفوه ضمها إليه وهو يقول:

_بالنسبة لروميو المحب لجوليت هذا هو ما تعنيه نظرية الاحتواء.

بيت صغير

"عائلة صغيرة جميلة ، يحيا جميع أفرادها بالحب، الحب الذى جعل الأيام تمر رغم آلام بعضها وقسوة بعضها الآخر، ولكنها ورغم الحب توقفت بهم فجأة في ظل هذا اليوم المشؤوم "

لم يكن غنيًا إلا بحبها له، تجرأ قلبه ليواجه رفض أبيها المتكرر، ذهب إليه للمرة الخامسة يشكوه نيران عشقها، بدت الحيرة على وجه الأب بينما كست القسوة ردة فعله:

-أنت فقير ...أتفهم ذلك يا بني.

-أفهم ذلك جيدًا، ولكن الله أغناني بعشقها.

-جيد ...أغناك الله بعشقها، هل ستعيشان بالحب؟!

-سنعيش به وله ومن أجله: الحب أقوى سلاح لنا يا عمي..

سكت قبل أن يستدرك بنبرة حزينة مليئة بالرجاء:

أرجوك لا تحرمني منها؛ حبى لها يكويني وحبها لي بلسم قلبي.

بنبرة نصح رد الأب:

-الحياة وعرة يا بني ....الحب لا يحقق متطلبات الحياة ....متطلبات الحياة تحتاج للمال ، للمال فحسب.

-المال!...المال ...المال ..كل شيء في الحياة يقوم بالمال إلا الحب يا عمى.

نظرة استهزاء الوالد لصياح الشاب كانت كفيلة لأن يفهم ما يود أن يرميه إليه:

-الحياة تحتاج للمال ولكن الحب أساسها ...قال الشاب ذلك على أمل أن يقنع الوالد بمدى حبه لإبنته.

-بل الحياة تحتاج للحب والمال أساسها، أليس هذا صحيحا؟!

وبعد تفكير لم يستغرق الدقيقتين، رد بنبرة يملؤها الأسي:

-لقد كتب الله لي أن أعيش فقيرًا، وها هو اليوم يغنيني بحبها ، أنا لا أرى غيرها... لا أستطيع أن أري غيرها مهما رأيت من النساء يا عمى.

بلامبالاة رد الأب :

- ربما تري غدًا.

-أبدًا يا عمي... أبدًا... لن أفرط فيها، ستظل وحدها إبنة قلبي.

-جفف دموعك يا إبني ، وأفهمني أرجوك .....بالمال تسير الحياة وبدونه لا حياة مهما وجدنا من الحب و...

صوت أنثوي زلزل الأركان رغم رقته:

-ما هذا يا أبي؟ ألم تقتنع بعد بأنه يحبني ويهيم بي عشقًا ؟!

كلمات الفتاة جاءت كدواء سريع الشفاء لحبيبها الجريح ،وكسم سريع المفعول لأبيها القوي؛ لم تأبه لشحوب وجهه وبادلت حبيبها نظرة حب

لتروي بها جفاف قلبه الهائم مما زاده سكونا وطمأنينة...طالت نظرتها له إلي أن لمعت عيناه بحبها ورأت انعكاس نفسها فيهما.

حينها ببطيء شديد توجهت بنظرها إلي أبيها وبادلته نظرة حادة لا خجل فيها ولا رحمة ، وزادت علي ذلك صياحًا بنبرة تهديدية قاسية:

-إن لم تقنعك كلماته بمدي حبه لي، سأقنعك أنا بمدي حبي له !......سأقنعك بالأفعال يا أبي!

ثم كيف لك أن تصفه بالفقير؟ ماذا تريده أن يكون؟! مليونيرًا! أنا ابنة الفلسفة المعنوية وليست المادية يا أبي ، أتفهم معني ذلك !

أمام صدمة الأب لانت الفتاة قليلًا، وقالت بتعاطف بعد أن ضمته إليها :

-أنت أبي الذي لا أريد أن أجرح، و هذا حبيبي الذي أخشي أن يهجر.

نظرات منكسرة تعكس مدي جرح الأب أمام قسوة إبنته التي لم تفهم قوانين الحياة بعد ، لم تدرك أنه اضطر لفعل ذلك ، لم تنتظر قليلا ليناديها بنفسه ويقدمها إلي حبيب قلبها وهو يقول "هذه درتي التي ما كنت لأفرط فيها إلا أمام حب صادق مثل حبك " ، لم تدرك أنها غالية ، بل لم تدرك أن قسوتها عليه أمام حبيبها جعلتها جوهرة منطفئة ... ، يا ليتها لم تتدخل بيننا !

_يا ليتك لم تتدخلي بيننا يا إبنتي !

جاءت نبرته الضعيفة علي مسامعها كصراخ بادلته بصراخ أقوي:

-يبدو أنك لا تعرف شيئًا عن الحب يا أبي ...حبه تمكن مني وأظن أنني علي استعداد لأن أفعل المستحيل من أجل البقاء معه ...بل أنا متأكدة.

-جمع الله بينكما في الخير يا بنتي !

-أحبك كثيرًا يا أبي .

تماسك الأب وابتسامته الزائفة لم يكونا كفيلين لحجب ما يشعر به من حزن وآلام ، ورغم ذلك لم تلتفت إليه إبنته ، وسرعان ما ركضت تجاه حبيبها لتقول له:

-أنا بك ولك، وسأظل معك للنهاية.

لم يتعجب الأب من رد فعل إبنته؛ فالحب فعلا يجعلنا مغيبين ، هكذا هدأ من روعه ، هكذا أقنع نفسه أن إبنته لا زالت تحبه أو علي الأقل تحترمه !

خطواته البطيئة تجاههما كانت كتنبيه للشاب أنه سيظل بجوار إبنته دائما ، يدعمها ولن يدعها تسقط ، وليؤكد له ذلك تفوه بنبرة عالية بعدما تحامل واستجمع قواه :

-صن قلبي المهدي إليك وإلا قتلتك !

لا تحزنها ، لا تجرحها ولا تقسو عليها بكلمة ، أتفهم !

-بالطبع يا عمي.. بالطبع.

نبرة الشاب لم تطفئ نيران قلب الوالد بل زاداتها اشتعالًا ، ورغم ذلك تم تحديد موعد الزفاف ، زفها الوالد إليه بنفسه وكم تمني أن لو شاركته

رفيقة عمره تلك اللحظة لتري إبنتها وهي عروس ، كم يشتاق لها ، كم يشتاق لروح سلبها الموت منه !

مرت الأيام الجميلة سريعًا، وهم الآن يستعدون لأيام أجمل منها ؛شهر واحد فقط وتقر الزوجة عينيها بمولودتها الأولى التي قررت أن تسميها(حياة) بعد ما اقنعت زوجها وأبيها بهذا الاسم...(حياة) لأنها لم تكتشف حياتها إلا في هذا البيت الذى يضمها مع حبيب قلبها...زوجها العزيز..

في هذا البيت ميلاد حياة جديدة!

عائلة صغيرة جميلة ، يحيا جميع أفرادها بالحب، الحب الذى جعل الأيام تمر رغم آلام بعضها وقسوة بعضها الآخر، ولكنها ورغم الحب توقفت بهم فجأة في ظل هذا اليوم المشؤوم..

_لم أعد أستطيع !...بألم صرخ الزوج بتلك الجملة.

-أحبك !

-لا أستطيع.

-أحبك !

-الحب لن يهديني ما أريد.

-أحبك !

أمام دموعها رد الزوج بنبرة حزينة:

-الأمر ليس بيدي ....واستكمل بصوت عال ....هذه فطرة خلقني الله عليها ، أنا كأي شاب أود زوجتي جميلة ! كل يوم وأنا ذاهب لعملي أري الفتيات الجميلات ...وما عدت قادرًا علي الاحتمال .

-أحبك !

-الحب ليس كل شيء.

-أحبك !

-أحبك لم تجعلني أراكِ جميلة.

صرخت الزوجة بألم :

-أحبك! أحبك ! ...احبك ! ....أحبك ...أحبك !

كل هذا ولم ترني جميلة....كل هذا ولم تحنو علي بعد كلماتك القاسية تلك ، كل هذا ولم تتذكر تضحياتي من أجلك ...هل أذكرك !!

بنبرة تمثيلية قالت:

-حبيبي أود شراء بعض مستحضرات التجميل لأتزين لك.

-أحبك !

كنت أعلم أنك تتمني أن لو أهتممت بنفسي أكثر من ذلك ، وكنت أعلم أيضًا أنك لا تملك المال الكافي لهذا تقول لي أحبك ولهذا أصدقها منك وأنا سعيدة.

-حبيبي أشتاق للحم...ماذا لو أحضرت لنا القليل منه.

-أحبك !

أحبك منك كانت تشبعني، وتسد جوعي في ليالي قفراء.

-حبيبي زميلاتي يعقبن علي ملابسي القديمة ...ماذا لو ذهبت معي لشراء طقم جديد.

-أحبك.

عادت لصراخها الذي ينطق ألمًا واستكملت:

أحبك منك كانت تكفيني لمواجهة ضغوطات العالم وملذات الحياة ..

أحبك منك كانت تعيد لي حياة سلبت مني لضنك معيشتك..

أحبك منك كانت تقويني لأنني.. أحبك!

اقتربت منه بعد ما لانت وبحب أكملت حديثها:

_أنا أحبك يا عزيزي ، أتتذكر حينما قلت لأبي:

- أن الحب أقوي سلاح نواجه به الحياة، وأننا سنعيش بالحب وله ومن أجله، وأنك لن تري غيري فأنا وحدي إبنة قلبك.

-نظر لها باستهزاء ، تحرك بعيدًا عنها ثم قال:

-كلمات شاب صغير لم يكن يدرك الكثير عن الحياة..أتذكرك حينما قلتِ:

- أنا بك ولك وسأظل للنهاية معك.

- حبه تمكن مني حتي لأظن أنني سأفعل المستحيل من أجل البقاء معه ....بل أنا متأكدة.

- صرختِ في والدك بقوة "سأثبت لك مدي حبي له بالأفعال يا أبي "

- نهرتيه بدون رحمة لكونه وصفني بالفقير ....ثم صرخ فيها: فلم تشكين ضنك معيشتي الآن !

أمام ذهولها استدرك:

- لا أعلم كيف انطفأ حبك في قلبي فجأة هكذا .....أقول لك أمرًا؛ كنت أحبك حبًا يفوق العالم ، حبي لك كان بمثابة جبل يصعب خدشه و...

بتعجب سألته :

-كان !!......ويصعب خدشه !!!.....ثم استكملت بنرة استهزائية:

ولكن بسهولة كهذا يتم هدمه !!!

-ومن قال بسهوله !....أتتذكرين مدي ثباتك أمام والدك من أجلي ؟! ......في نفس اللحظة وبمقدار ثباتك اهتز حبك بقلبي وانطفأتي بداخلي اذ كيف لفتاة أن تتحدي والدها من أجل شاب!

-ظننت أن هذا سيزيد محبتك لي وتمسكك بي !

-ليس صحيحًا ، والآن أمام عدم اهتمامك بنفسك لم أعد أريدك.

صاحت فيه بألم :

-اسكت ...كف عن الحديث.. لا تتفوه بأي كلمة وإلا قتلتك أيها النذل.

اذهب وتزوج من أخرى، تزوج من جميلة، ولكن لا تنسي أن تجلب لها مستحضرات تجميل كي لا تفقد جمالها مثلي....لا تجعلها تضحي علي حساب نفسها مثلي ....لا تجعلها تتمسك بك ...لا تكن عونًا لها علي ظلم نفسها.

ثم تساءلت ببكاء وحزن شديدين:

-لماذا لم تتركني حينما انطفأت بداخلك؟!

أمام صمته صاحت بقسوة وإشمئزاز:

-هل أجيب بدلً عنك ....لأنك حقير ....لا تتعجب أنت أحقر ما يكون ....حقير لأنك..

انعقد لسانها عن الحديث فور تذكرها حياتها معه ، تضحياتها وحبها لرجل مثله ، انهمرت دموعها بغزارة من جديد وكأنها تخفف عنها حزن عميق سكن قلبها ، وبحزن ظلت تردد:

-حقير ...حقير ...ومن مثله حقير ...حقير لأنه جرحني وجرح قلبي وحتي أنوثتى ....حقير لأنه السبب الأساسي لوفاة والدي بعد زفافنا بسنة واحدة ، حقير لأنه لم يتمسك بي حتي من أجل إبنته !

أمام لامبالاته ما كان عليها إلا أن تجفف دموعها وتذهب إلي بيت أبيها مودعة تلك الحياة التي لطالما تحاملت وضحت من أجل أن تصبح حلوة.

لم ترحمها الحياة وسلبت منها حياتها الثانية بكل قسوة ؛ لقد ماتت ابنتها ، ابنة العامين نتاج الإهمال أمام أب لم يفكر حتى فيها، وأم لم تكن تتحصل علي قوت يومها.

مرت الأيام الحزينة ، عاشت فيها ولها إلي أن تذكرتها الحياة بحب شاب معلمًا للغة الانجليزية، يكبرها بسبع أعوام ربما أغناها عن العالم.

-أحبك كثيرًا !

-هل أنت غني ؟!

-لست غنيًا ، ولكنني ميسور الحال....ارجوك اقبلي الزواج مني ، لقد أحببتك منذ جئتي للعمل كعاملة في تلك المدرسة ...أتعلمين لم يدق قلبي بحب أي من المعلمات صديقاتي !

وضعت كلتا يديها على قلبها ، لا تريد أن تسمع تلك النبضات التي تحلق بنا إلي عالم أشبه بالنور فتجعلنا من فرط جماله ننسي قسوة الحياة . الصوت يتزايد ، يبدو أن قلبها مل إخفاء حب هذا الذي أجبرها علي حبه فقرر أن يعلن عنه بعيدًا عن حسابات عقلها.. نظرت له وقالت بحدة مصطنعة:

-ربما يدق غدًا !

-أنا وأنت مررنا بنفس الظروف؛ لقد مات إبني وطلقت زوجتي.

-لا تقلق ستحن لها غدًا.

-احبك !

-أحبك ، كلمة لم تنقذ حياة إبنتي من الموت ، لم تنقذ حياتي الزوجية أيضًا!

حبك لن يهديني العالم ، لن يجعلك تراني أميرة بينما أنا عاملة ، لن يمنعك للنظر لمن هي أجمل مني يومًا ما ! ..إن كنت غنيًا كنت سأتزوج منك لأضمن حياتي معك ومع زوجتك حينما تحن لها.

-تبًا لك......لقد .....لقد أحببتك !

أغمضت عينيها لتخفي دموع قلبها ؛ لقسوتها علي قلب جاءها محبًا ، فردته مجروحًا .....شفتاها كادتا تنطقان "وأنا أيضا أحببتك " وبدلا من ذلك قالت:

-لا يوجد ما يسمي بالحب ......هذا فضلًا أنك لست غنيًا.

_مادية ! .....تبا لك ولعقلك .

في تلك اللحظة دمعت عيناها ، بدأت ذكرياتها المؤلمة تمر أمامها كشريط لا يود أن ينتهي ، كل حزن مرت به لم يكن سببه إلا الحب . لا زال الشريط يمر ولا زالت دموعها تزداد غزارةً، ولكن شيء ما مر بعقلها جعل الدمعة تختلط بالبسمة وكأنها طفلة العامين..شيء أنار وجهها وأضاف اللمعة لعينيها البريئتين ؛ إنه هو ...نظراته لها أثناء عملها التي حاول أن يعبر بها لها عن حبه ، كلماته الخجولة، وأفعاله الغير متزنة أمامها.

كانت تصبح مثله بل أشد منه ارتباكًا حالما رأته ، حتي لاحظ الجميع قصة حبهما ولكنها كانت ماهرة في الخداع ؛ كانت ترجع ذلك لحياتها البائسة إذا ما واجهتها إحداهن.

نظرت له بتلك البسمة التي تزين وجهها بعدما توقفت عيناها عن البكاء ، وقالت:

_ربما تصبح مثلي غدا !

_لن أصبح أيتها الدنيئة ، لم يلبث أن قالها حتي ولاها ظهره منصرفًا من حيث جاء وهو يردد " عاملة وتريده غنيًا "

عادت لبكائها من جديد ، يبدو أنه أخطا تفسير ابتسامتها .....كم تمنت أن يجيد تفسيرها فيقول لها "سأغير نظرتك عن الحب " ...ودته فقط أن يفهم ما تشعر به بعد تجربتها القاسية فيطمئنها ....أرادته أن يعرف أنها تريده هو وليس أمواله.

كم تمنت أن لو لمح في عينيها تلك اللمعة ليعرف أن قلبها يعرف الحب بل ويبادله حبًا أقوي من حبه لها ......ودت فقط أن لو أحسن تفسير كلماتها لئلا يصفها "بالدنيئة " ، وليدرك أنها فتاة لها قلب ، ولكن ماذا عساها أن تفعل؟! ...هي فقط تخاف الحب.

"أنا فقط .....أصبحت أخاف الحب ....أصبحت أخاف الحب"

في مدرستنا نجيبة

"وكما توقعت: باب المدرسة موصد بالأغلال.. ولكن حتمًا هناك حل!"

***

في هذا اليوم تأخرت في الذهاب (بطبيعة عملي كمعلمة) إلى المدرسة ...وجدت الباب مغلقًا ، طالت دقائق انتظاري بلا جدوي ، ولسوء الحظ لم أجد من أخبره بأمر وصولي.

_سأهاتف المدير ، لدي ما أستطيع فعله!

واسيت بها نفسي(في صياح مخنوق) ، بعدما لم يعرني هذا الطالب الأخرق أي اهتمام ، ومضي بعيدًا متناسيًا أمرى بعدما سمحت له بتسلق الباب(كي يدخل) وتمنيت له السلامة.

ولكن الأمر ليس بتلك السهولة، ثمة مشكلة لابد أن تلعب دورها لتجعل المشهد أكثر إثارةً وتشويقًا!

بالضبط كما خُيل لك : لا رصيد في الهاتف.

قرع الباب بحدة أمر ناجح بالتأكيد ...ولكن ليس معي!

إذاً لا أملك إلا أن أمارس دور حارس الأبواب.: ورحت متناسبة البريستيج - والناس من حولي - أراقب دون كسل، علّى أجد من يعرني إهتمامه!

كان بإمكاني _من البداية _ الذهاب ومن ثم إبلاغ المدير بأمر تغيبي ، ولا داعي لأن يعلم كم جهدًا بذلت وأنا أراقب باب المدرسة ...ولكن ثمة اجتماع مهم لن يُقام إلا بحضوري ....وهذا يعني أنني مهمة ! تصور!

...إذًا لماذا لم يحاول المدير أو أي من أعضاء الإجتماع الإتصال بي لأجيب بدلًا عنكم. المدير وحده من يملك رقم هاتفي ولكنه يعرفني جيدًا ؛ لكم من مرة أخبرني -وهو يضحك- بأنني أشبه ابنته الهادئة التي لا تبالي للأمور لكنها أبدًا لا تهملها، على كل حال هو يعلم أنني مهما تأخرت سأحضر ، لهذا لا يزال ينتظرني في صبر ، دون أن يرسل لي من يهشم رأسي بدلًا عنه!

ترن ...ترن....ترن ..

جرس الفسحة، وهذا يعني أنني لست بحاجة لطالب يعتني بأمري ...ولكنني بحاجة لهذا الأخرق الذي لم يعرني إهتمامًا.. لابد أن أنال منه!... وارتسمت علي وجهي ضحكة صفراء.

ولكن منذ متي تأتي السفن بما نشتهي!

ظل الباب مغلقا وفقًا لتعليمات السيد المدير.

وظللت أنا أراقب أفواج الطلاب الذين يتهافتون-من خلال الثقوب العديدة أسفل باب المدرسة الحديدي - على بائع الشطائر الذي أتخذ مكانًا جواري ..

- بخمسة ....بعشرة ......أريد الباقي ....بعشرة ....بعشرين ..لماذا لم تعطيني لقد أعطيتك النقود ...أسرع نحن جوعى!

ووسط كل هذا لم يفتني- طبعا - أن أسألهم طلب العون:

-يا أولاد ...فليفتح أحدكم لي الباب... أخبروا المدير بأمري فهو ينتظرني ...أخبروا أي أستاذ تقابلوه في طريقكم ...قولوا له " الأستاذة تقف خارج المدرسة "

وكانت دهشتي أن أحدًا لا يرضي أن يتحرك من مكانه بعد طن الأسباب التي ذكرتها لهم ..

أنا لست حانقة، ما أمتلك التفسير الصحيح لكل المواقف حتي تلك التي يتم تجاهلي فيها ؛ ..يبدو أن الأوغاد سيموتون جوعًا إن لم يأكلوا كالخنازير!

ورحت بهدوء أطلب العون من طالب رأيت فيه الخجل من صنيع زملائه فقلت له في كياسة:

-لا تهتم لهم ....أذهب أنت .....أنت غيرهم.

-ولكن المفتاح مع أستاذ (.....)...وفيما يبدو أنه ليس هنا الآن .

-حسن ....اذهب للمدير وأخبره بالأمر وهو سيتصرف...لا أريد منك أكثر من ذلك .

-لحظة....فأنا جائع جدًاا!.

وسرعان ما فر بكيس ملئ بالشطائر الساخنة.

ولكنه تأخر !...ليست مشكلة ...ماذا لو نصحت هؤلاء المساكين -إلي أن يعود - ليستفيدوا -ولو قليلًا- من خبراتي كمعلمة للعلوم!

-يا أولاد!.....لمَ تشترون من الباعة الجائلين ؟! لا تفعلوها مرة أخري ....جميع أطعمتهم ملوثة وربما أُصيب أحدكم بالتسمم لا قدر الله.

وكما ترون قدمت لهم نصيحة قصيرة مختصرة ولكنها نافعة وتحوي قيم جمه.....ورغم ذلك لم ينتبه لي أي من الأولاد ، ولكن شخصًا واحد فعل ...بالطبع هذا الواحد هو بائع الشطائر، ليس هذا فحسب بل ونظر لي نظرات حارقة فكان عليّ أن أتخلي -ولو لدقائق - عن حراسة باب المدرسة ، ويكفي أنه هو سيقوم -دون مجهود منه - بذات الدور....فلمَ لا أُنشط قدماي!

وغير بعيد... لمحت طالبًا ممن تسلقوا باب المدرسة للخارج بحثا عن حرية أكبر: كان رث الثياب ، منكوش الشعر ، يبدو في الثالثة عشرة من عمره، يدخن سيجارة بشراهة ، وعندما وقعت عينه علي، أرتبك قليلًا ومن ثم أبتسم ابتسامة خجلى، مما دفعني ألا أخشي نصحه. هذا فضلًا عن صغر سنه مما سيجعله يحترمني شاء أو لم يشأ.

-عزيزي الصغير ! ....ماذا تفعل؟ أتشرب السجائر؟!

ألا تعرف أن هذا مضر جدًا بالصحة ، فضلا عن أنك خلوق كما يبدو عليك، وهذه ليست أفعال الخلوقين مثلك! لا تفعلها ثانية. هيا إلقها على الأرض !

ويبدو أن جملتي الأخيرة استفذته ....فمط شفته السفلي فيما معناه "أغربِي عن وجهي وإلا جعلت شمسك تغرب للأبد"

، ليس هذا فحسب، بل ورفع يده بالسيجارة إلي فمه ومن ثم نفث الدخان في وجهي وبعدها شرع يحرك فمه حركات عشوائية! هذا يعني أنه لا يهابني قط! والأدهي ...أنه ....أنه ربما يملك موسًا تحت لسانه وربما مزق به وجهي!

مما جعلني أفر من أمامه، وألوم نفسي على أمر النصح هذا!

هذه مشكلتنا نحن الصالحين ...نمارس الإرشاد في أوقات تناسبنا نحن ، غير عابئين بما يناسب من نرشدهم ... كان عليّ أن أنتظره يفرغ من سيجارته أولا!

بل لابد أن أنسي أمر النصح هذا على الإطلاق؛ على الأقل لأحافظ على وجهي سليمًا!

رن جرس الفسحة ، وأرسل الله مع رنينه أستاذ : كان يهش التلاميذ ليلتحق كل منهم بفصله ...فشرعت تارة أطرق الباب بحدة، وتارة ألوح له من خلال ثقوب الباب الحديدي ... وما كانت إلا دقائق وفتح لي الباب ، ودخلت المدرسة ، فقصدت مكتب المدير ..إلا أنني قابلته يجوب الطرقات ..وما إن رآني حتي فرّج عن إبتسامة محييًا...

-هلّت الأنوار ....كنت بإنتظارك.

تساءلت بإستنكار:

-هل تأخرت؟ اعتذر !

على المرء أحيانًا أن ينسى ما مر به من مواقف ، وألا يستخدم تلك المواقف كمبررات وأعذار ، خاصة وإن كان لديه مدير يفهم طبيعته كمديري! وإلا عرّض نفسه -دون داعٍ- للفوز بلقب "أذكي اخواته" بالطبع كان سيجد لي حلًا من تحت الأرض ، فأظهر في صورة كلب البحر الذي لا يفكر!

جاء رده مؤكدًا لنظريتي:

-لا داعٍ لذلك ....الجميع ينتظر ...هيا إلى الإجتماع.

وبعد مناقشات جادة...انتهي الاجتماع وكنا قد وضعنا أيدينا علي لب الموضوع ... شكرنا المدير جميعًا ولكنه وجه لي شكرًا خاصًا:

-نشكر الأستاذة شيرين بالطبع علي مجهوداتها الرائعة.

قلت في حياء حتي أزيل ما ترسب من غبط في نفوس باقي الأعضاء تجاهي:

-لقد أحرجتموني! ....هذا عملي ....ولابد أن أقوم بالأكثر.

ولم تكن تلك النهاية ؛ إذ ألقي عليّ المدير مهمة إضافية ، فهتف بينما كنت علي وشك الخروج من مكتبه :

-شيرين !.....هناك حصتين احتياطي في الصف(١/٣ الاعدادي) ...مضي عليهم الاستاذ (....أ...) ، ورغم ذلك أقترح أن من يقوم بالتدريس فيهما لابد أن يكون أنتِ ، ما رأيك ؟!.....وقبل أن أجيبه أضاف مفسرًا:

-الحصتين يخصان أستاذة العلوم ، ولكنها غائبة ...أخشي أن يتأخر الطلاب في دراسة المنهج.

لا تخشِ يا مديري العزيز! ...لا تخشِ...سأقبل بالطبع ...لكنني لن أدرّس العلوم في أي منهما!

-على الرحب والسعة ..سأذهب في الميعاد.

شكرني ،ثم راح يتمتم بأن دراسة العلوم شيء مهم ولا داعي لأن تضيع الحصص مع أستاذ لا يعرف كيف يشرح العلوم !

هززت رأسي فيما معناه " أؤيد رأيك " ....ورأيت -إحتراما لحالته -ألا أخبره أنني أنتوي استغلال الحصتين في سرد القصص علي الطلاب كي يألفونني وخاصة أن هذا أول عهدهم بي..

وفي ضوء خبرتي -الضئيلة- يمكنني أن أقول لكم ...الكبار يحبون سرد القصص جدًا ، ويتفاعلون معها بكل طاقاتهم : الاسترخاء....السكوت ومن ثم النعاس ...-هذا إن كان الملقي يجيد جذب الإنتباه ويملك صوت عذب مثلي - ...إذًا فهي مخدر لا بأس به وناجح بالإضافة لكونه غير مكلف للمحافظة على هدوء الصف!

أنهيت تخدير الطلاب المشاغبين ، وكان عليّ أن أُسرع حيث المعمل لاستعارة بعض الأجهزة والأدوات لأستخدمها أثناء شرحي للصف الثاني الإعدادي...عجلة سافار...شوكة رنانة بأحجامها المختلفة و بندول ....و...هذا يكفي.

انبهرت الطالبات بالأدوات ، فأخذن يجربن كل منها تحت إشرافي....ومر الوقت حتي أجزمنا جميعنا أن اليوم قد إنتهي دون حتي أن نسمع رنين الجرس ...فرحنا بهدوء وانتظام نلملم الأدوات واستعددنا للرحيل .

أمرت الطالبات اللآتي تحملن الأدوات بإتباعي إلي المعمل ....ولكن ثمة مشكلة غير متوقعة ؛ المعمل مغلق بابيه ولا أحد في الرواق..

الأمر ليس معقدًا ...يمكنني أن اتركهم هنا في صندوق جهاز إطفاء الحريق ...أو آخذهم معي إلي المنزل علي أن أَحضرهم معي غدًا ....ولكنني رجحت الثانية ومن ثم هتفت في الطالبات..

اتركوهم لي، لابد أن نمشي من هنا وبسرعة؛...ثمة شيء لو كان صحيحًا فنحن حتمًا في كارثة!

وكما توقعت؛ باب المدرسة الحديدي موصد بالأغلال ...ولكن حتمًا هناك حل !

هدأّت الطالبات ، وبينما كن يتساءلن هن عن أمور عديدة منها .. ماذا نفعل ؟! كيف سنخرج من هنا ؟! من سينقذنا ؟! ....كنت أنا أتساءل ...ماذا كان سيحدث لو أغُلق الباب عليّ مع فصل مشترك يحوي (ذكورًا/إناثًا) ؟!!! ...ومن ثم حمدت الله أننا جميعنا فتيات ، أما عن ماذا سنفعل؟ فبالتأكيد هناك حل...ولكنني لا أعرفه!!

جلست والطالبات على المقاعد والأرصفة الخارجية وبدأت بسرد القصص علي مسامعهم ....لا بد أن أخدرهم منعًا لمزيد من القلق!

مرت الدقائق ثم قالت إحداهن:

_كيف سُيعرف أمرنا ؟!...لابد أن نفعل شيئا !

تلك الفتاة محقة ....ولكن أي شيء نفعل ؟!

قالت أخرى:

_منزل الأستاذ(أحمد) قريب من هنا ...ولحسن الحظ منزله قريب من منزل المدير ، يذهب إثنتان منّا يبلغانه بالأمر وهو يتصرف !

أُعجبت بالفكرة ولكنني اعترضت:

أَ تردن أن تعرضن حياتكما للخطر ؟!...ربما كُرت ساقيكما وأنتما تتسلقان الباب للخارج ....دعن الأمر لي !

ومسكت هاتفي خالي الرصيد ...لا أعرف ماذا أفعل.. يبدو أننا حُبسنا؟!!

ولكنني كنت هادئة ...هادئة جدًاا....هادئة إلي أبعد حد.

تقول لي أمي أنني لو رأيت حريقًا ناشبًا أمامي وفي يدي كأس ماء ...سأشرع في شرب كأس الماء في إنتظار الحل! ...أنا لا ألومها علي ذلك ....حقيقة ...لا أحب أن ألعب دور القلق حال حدوث المشكلات وكأنه هو الملهم، علي طريقة كلما زاد رعبك ، كلما نلت الحل أسرع !

بل أفضل الهدوء دائمًا ، وانتظار الحل ......فحتمًا هناك حل !

ولكن ما هو ؟!

هتفت إحدى الطالبات:

_أنا جائعة جدًا....في هذا الوقت أتناول غذائي!

وهتفت أخرى:

- وانا أريد النوم!

وصرخت ثالثة:

_ماذا سيفعل فيّ والدي ....حتمًا لن يصدق أنى كنت حبيسة في المدرسة.

قلت لها:

_لا تقلقي ...أسردي الأمر عليه كما هو ؟

قالت بشيء من الحزن:

_من الصعب أن يصدق ....نحن بنات ..نحن بنات ..أَ ولستِ منّا ...ثم راحت تبكي.

أنا أعرف أن البنات يعانين ...ولكن ليس لهذا الحد! ...ما ذنبها هي في أمر هكذا ؟!....ضممنها بعض الطالبات إليهن يواسينها:

_ " دعيه يتأكد منّا ....سنخبره بالأمر ولكن لابد أن يكون هو المتصل " ..ورحنا يضحكن.

ولكن ما تلك الدموع التي غسلت وجهي؟! وهذا المخاط السائل من أنفي كصنبور ماء ؟!

ظنت الطالبات أنها آثار بكاء مكتوم ، فرحن يواسينني في ذعر:

_" ما بكِ يا مسِ ....لا تقلقي...سيحضر الأستاذ أحمد حالًا بالمفاتيح وسنمشي من هنا.."

ابتسمت لهن ، وراق لي خوفهن عليّ ، فشرعت أنظف وجهي من آثار (الزكام).....بالطبع لم تكن آثار بكاء ...، في مثل هذه المواقف أنا لا أملك ترف القلق ....فقط أنتظر الحل في هدوء ولا مبالاة ! ....أنتظر حضور الأستاذ أحمد بالمفاتيح.

ولكن من أخبره بأمرنا؟ ومن أخبر أمره للطالبات؟ .وكيف حدث ذلك ؟!

هل تسلقت إحداهن للخارج طلبا للعون كما سألنني؟! أم أنهن استغثن بهذا الولد الصغير -الذي كان يتحدث إلينا من خلف الباب - ليذهب نيابة عنهن كما قلن لي ؟!

صدقًا لا أعرف..ولا أريد! ...في مثل هذه المواقف لا بد ألا نشغل أنفسنا بتلك الأمور الصغيرة..

وكان الخلاص بمجرد قدوم الأستاذ أحمد ....كان يضحك بهستيريا؛ إذ أنها المرة الأولي التي يشاهد فيها نجيبة خارج شاشة التلفاز كما أوضح لي ....ومن ثم وبخنا بألفاظ لينة هادئة أقرب منها للنصح ، وأزاح عني أمر أدوات المعمل مبررًا بأنها عهدة ومن غير المستحب أن تكون معي.

ووسط هذا كله لم أنسِ أن ألعب دور الأستاذة الحكيمة التي تجيد التفكير؛ فأخذت أنادي علي الطالبات بوجوب الرحيل ...من يدري؟! ربما ابتعدت إحداهن دون أن أنتبه!

وكنت أخر من تخرج. خارج الباب وقعت عيني علي سيارة وبداخلها سائق شاب ...كان ينظر لي نظرات مروعة يخيل إليك منها أنه صحفي حضر ليسأل نجيبة عن أحوالها وطالباتها في هذا المأزق العسير !

فانتابني الفخر لدرجة زعمت فيها أنني نجيبة الدحيحة التي اختطفت طلابها من أجل المزيد من العلم!

كما رأيتم لعب الأستاذ أحمد دور المنقذ المغوار ...ولكن أهم أدواره لم تعرفوه بعد..

في صباح اليوم التالي، لمحني الأستاذ محمد فكتم ضحكة أرادت أن تعبر عن نفسها ، فلم أبالِ وكنت علي وشك الصعود للطابق الثاني حين هتف:

-استاذة شيرين ! ....ال.....ال.....الجدول خاصتك ...من هنا.

لم يكن عسيرًا عليّ أن أعرف أن أمر جدولي لا يهمه ، ولكنه يرمي إلي شيء آخر.

-لا تقلق.. .حصلت عليه.

قلتها وأنا أؤكد له أن هذا ليس ما يريده ، فالتمعت في عينه إبتسامة، سرعان ما أفرجت عن نفسها وقال من بين ضحكاته:

-بالأمس ....هل ...هل صحيح أُغلق عليك ِ باب المدرسة .....و.....

-ومر الأمر بسلام.

-الحمد لله ....لا بد من توخي الحذر المرة القادمة ....لابد ألا تنسي نفسك مرة أخري ...اتركي باب الفصل مفتوح ليسهل عليك سماع رنين الجرس و......

فكرة أن ينظر لي الجميع علي أنني نجيبة هذه المدرسة ، لا تروقني....لهذا أقتضب الحديث عنها قدر استطاعتي.

بالطبع كما زعمتم ....لم يكن الأستاذ محمد آخر من بُثت له مغامرة الأمس!

ولكم أن تتخيلوا حالتي .....والبركة طبعًا في منقذنا البطل الأستاذ أحمد ! ولكنني لست حانقة ....بل واعذرهم جميعا.........لست حانقة على الإطلاق ؛ فكما تعلمون؛ أنا دائماً أمتلك التفسير الصحيح لكل المواقف ، حتى تلك التي يسخر الجميع فيها مني. هؤلاء الأوغاد سيموتون إن لم يقدموا لي النصيحة!

عنف رقيق

" .أنا أعرف شريف جيدًا ....شريف لم يُخلق ليكون وغدًا غادرًا، بل خُلق ليكون رجلًا ...رجلًا حقيقيًا، وهو قبل تلك الفكرة وتعايش معها ..بالتأكيد لن يخل بها ليثبت لي صدق ظنوني وأوهامي!"

***

_شريف!....هل ستذهب وتتركني وحدى حتى في هذا الوقت المتأخر؟!

_.............

_شرييييييف! ....إلي أين ستذهب إذاً؟!

_إلي الجحيم!

قالها ببرود وهدوء أفزعاني...أثارا ريبة وشك الأنثى بداخلي : أتراه متزوج عليّ دون علم مني؟!

أم أنه كان يفكر في الزواج من ثانية والآن حسم قراره؟!

رأسي سينفجر؛ الاحتمالين كلاهما مريب...مخيف...ومرعب، بل قاتل بالنسبة لأنثى لم يمر علي زواجها سوى عدة أشهر!

هل جُن _هذا المخبول_ حتي يتزوج عليّ قبل مرور السنة علي زواجنا؟!

ماذا سيقول الناس عنى وعنه؟!

لو كان وغدًا ذكيًا لأنتظر ثلاث سنوات على الأقل ليرتكب جريمته تلك حتى لا يُوصف بالوغد!

ولكن ما جدوي الإنتظار إن كان الوغد يعرف جيدًا أنه وغد ولا حاجة له بمن يذكره! ما جدوي هذا اللقب مع من لا يبالي بشيء، حتى المبادئ يضرب بها عرض الحائط!

ما جدوى أن يتزوج عليّ!

ألم نتعاهد على إكمال المسير سويًا، نكون معًا...نكبر معًا نشيخ معًا..

هذا الغادر.. ماذا جري له...كيف تبدّل هكذا؟!

رأسي سينفجر...كيف يتزوج عليّ أنا ، أنا ال.....

أحقاً لم تعرفوا بعد من أنا؟!

لحظة أجفف تلك الدموع وأخبركم..

معذرة....هول الموقف أفقدني القدرة علي تمالك نفسي فنسيت تقديمها لكم ..أينعم هذه ليست المرة الأولي التي نتشاجر فيها أنا وشريف، أي ليست (الخناقة) الأولي لنا فنحن حتى وإن لم يمر علي زواجنا الكثير غير أننا كأغلب الأزواج؛ نتشاجر، وهذا أمر طبيعي.. طبيعي جدًا لو لم تكونوا تعلمون ، ولكن الذي لا يعد طبيعيًا هو تركه البيت في هذا الوقت المتأخر..

تلك هي المرة الأولي التي يفعل فيها ذلك...حقًا لا أجد ولو تفسيرًا واحدًا لما حدث!

أُدعي هدير. وحقًا لا أعرف ماذا حدث لينفعل زوجي شريف ويترك البيت بتلك الطريقة! حتما يتحجج ليبيت عند زوجته إن كان قد تزوج عليّ.

كان عائدًا من الخارج كعادته خلال الشهرين الأخيرين، جلست إلى جواره وسألته بكل لطف بعدما تفحصته جيداً بنظراتي المتشككة التي تضايقهً:

_حبيبي! ...أين كنت؟

_على القهوة مع أصدقائي.

_لا تكذب علىّ...لست مغفلة... تلك البسمة التي تزين وجهك لا ترتسم على وجه شاب عائد من موعد مع أصدقائه....تلك بسمة شاب يحب!....من هي....قل لي ...من هي؟...لا تخجل!

في البداية لاحظت أنه أستشاط غضبًا؛ فتلك لم تكن المرة الأولى التي أُلقى فيها تلك الموشحة على أذنيه...ولكنه لم يثور... يبدو أنه جاهد كثيرًا كي لا يفعلها!

نظر لي بابتسامة صافية ثم تساءل بهدوءه المعتاد:

_تغارين؟!

نظرت له نظرة نارية لتلك الثقة المفرطة وكدت أصيح فيه أن من بمثل جمالي ومكانتي لا تغار بل يُغار عليها، وقبل أن أفعل استدرك بذات الابتسامة الوضاءة:

_هنيئًا لي إذاً!

هذا الرجل يُجيد استفزازي!

لماذا لم يقل لي أنني أجمل إمرأة عرفها على وجه البسيطة وأنه مهما حاول لن يجد مثلي؟

أينعم جمالي متوسط؛ بشرتي قمحية وليست بيضاء...عيناي عسليتان، متوسطة الطول، لست رشيقة جدًا ولست ثمينة جدًا؛ يمكنني أن اقول لك أنني كأي فتاة مصرية بلغت أربعة وعشرين عامًا...أنت تعرف أن في تلك السن تزداد الفتاة ثمنةً بلا سبب واضح ،هذا غير شعرها الذي يبدأ في التساقط حتى لتوشك أن تصبح صلعاء كرضيع وُلد لتوه!

ولكنني برغم كل ذلك لا زلت جميلة؛ أعرف جيدًا كيف أتزين له وأسلب لبه ؛ المرأة التي لا تعرف كيف تصبح جميلة في كل أحوالها وبأقل الإمكانيات لا تُعد امرأة!

لماذا لم يقل أن من حظي بي بمثابة من حظى بكل النساء

ولا حاجة له بالتعدد؟

لماذا لم يقل أن تلك التي يحبها هي أنا حتى يستكين قلبي

لماذا لم يُجب على سؤالي؟ وبحدة كررت السؤال علي مسامعه:

_قلت لك...أين كنت؟!

ومن تلك التي أوقعتك في شباك حبها؟

نظر لي بذات الهدوء ...وقد ضوت نظرة نارية في عينيه نجح في مغالبتها وقال:

_متي ستعقل طفلتي الحبيبة؟! أينعم أحب مشاكستك لكن ليس لهذا الحد أبدا!

قالها وهو في طريقة للغرفة؛ يبدو أنه سينام دون أن يسأل عما اعددته له من عشاء كعادته....وكانت فعلته تلك سببا في توارد الأفكار السوداء إلى رأسي؛ حتما أكل معها...طيبته وخجله يمنعانه من رفض طلبها الصغير بمشاركتها عشاءها...وكان هذا سببا كافيًا لأن أنفجر فيه:

_منذ متي تشاركها طعامها؟!

صحت بها بأعلى صوتي، وأمام صمته القاتل تساءلت في تقزز:

_هل تعزمها في المطعم الذي أحبه، أم تتقابلان في شقة تأويكما.....أجب!

_ماذا تريدين؟!

صرخ بها حتى أنني أجفلت خوفا، ولكنها فرصتي الوحيدة:

_أريد أن أعرف الحقيقة.

_ أي حقيقة؟

قالها وهو يصوب نظره في عيني فارتبكت، ولكنها لحظة المواجهة التي انتظرتها منذ شهرين فلأتماسك:

_أ..أ..تغيرت عليّ كثيرًا؛ لم تعد تهتم لأمري وكأنني كرسي أو منضدة في البيت....تتركني وحدي وتكثر الخروج تتجاهل حديثي وتمتنع عن مناقشتي... أنت لم تعد تحبني كالسابق.

تنهد بارتياح قبل أن يقول:

_ههه...هل هذا كل ما في الأمر؟!

هذا المسلسل الهندي لتقولي لي أنني لم أعد أحبك!

ثم استدرك بإبتسامة رقيقة وهو يضغط علي خدي الأيمن بإصبعيه السبابة والإبهام وكأنني طفلة صغيرة:

- هناك طريقة أسهل أيتها المشاكسة، كان بإمكانك أن تسأليني مباشرة "هل لازلت تحبني أم لم تعد"؟

حينها غمرتني السكينة، وشعرت بوشاح الضعف يدثرني حتي أنني تهت ولم أعد أذكر ماذا يحدث من حولي....وماذا دار بيني وبين شريف؟ ضاعت الكلمات مني ...كل ما أشعر به هو أنني أغرق تدريجيًا...أنسحب لأسفل رويدًا رويدًا حتي لأوشك على الغرق في ما يشبه البحر الواسع..أي شيء هذا،؟ إنه بحر....بحر ال....حقا لا أدري أي بحر هذا ......لا استطيع التحديد.

نفضت نفسى لأزيل عنها هذا السحر ...لا أريد ان أضعف في تلك اللحظة ...إنه حتما بحر الكذب والتضليل! شريف حتمًا يريد أن يضللني بتلك المشاعر الجميلة الزائفة ...ولكنني لن أرضخ وسأقاوم ؛ بصوت أجش أقرب لصوت رجل قلت:

_ألعب غيرها!

_لا أريد أن ألعب....فقط أريد أن أنام.

_لن تنام قبل أن أعرف الحقيقة.

_أي حقيقة؟

_التي تخفيها عنّ.

_لا أخفي شيئا سوى بعض الغضب العارم، الذي لو أطلقت بعضه لعرفت كيف أخرسك.

كلام قاس فعلًا، حتى أنه أدرك ذلك وقال بسرعة:

_دعيني أرتاح...أود لو ارتحت في بيتي!

لكن هيهات الأمر أتخذ منحنى الكرامة الآن ولا مفر من التراجع...لو تراجعت لظن شريف أنني أهابه وغضبه الدفين...لهذا قلت له بعناد وبلا مبالاة:

_(شاالله عنك ما ارتحت!)

لزم الصمت، فوجدتها فرصة لان أمسك بزمام الأمر ، وبثبات واضح وعناد أكبر قلت له:

_لا يوجد ما يُخيفني ....أتظنني سأخافك! ليست المرأة العاملة التي تخاف تهديدات الطلاق غير المباشرة... حتى وإن أصبحت مباشرة لا تخافها.

هنا صاح في بغضب عارم:

_ومن هدد بالطلاق؟!

_أنت....الآن. هل ستنكر؟!

_حسنًا...نتقابل غدًا ريثما تهدأين.

ومشى في ثبات تجاه الباب دون أي كلمة أخرى.

إلى أين ذاهب هذا المجنون؟...إنها الثانية عشرة بعد منتصف الليل!

_شريف ماذا تفعل؟

_سأذهب.

_شريف!.....هل ستذهب وتتركني وحدى حتى في هذا الوقت المتأخر؟!

_.............

_شريييييييف!.......إلي أين ستذهب إذاً؟!

_إلى الجحيم!

***

حقًا لا أجد إلى الآن ولو تفسيرا واحدًا لفعلته تلك...كيف يترك البيت بتلك البساطة؟!

هذا الوغد!. كنت أشك فيه منذ مدة؛ يكثر الخروج ويقول أنه يُريح أعصابه مع أصدقائه، يتحدث كثيرًا في الهاتف ويخبرني أن هذا مديره في العمل، يجلس ساعات طوال وبدون ملل أمام الفيس بوك، يتجاهل حديثي ولا يتناقش معي ويبرر بأنه متعب!

شهرين!

هذا عمر الحكاية التي اقصها عليكم..

حكايتي مع شريف وُلدت منذ شهرين بالضبط...ولُدت _ولا زالت تكبر_ بالتحديد منذ ليلية الأربعاء الأولي من شهر يناير... كان الجو شديد البرودة، وكان شريف شديد النشاط..لسبب لا زلت أجهله قرر الخروج على غير عادته، تفاجأت واستنكرت ما سمعته..

ما الذي جد ليترك البيت ليلا في هذا الشتاء؟

ما الذي تغير ليغير روتين تعايش معه، واعتدت عليه خلال فترة زواجنا؛ لم يكن يترك البيت بعد عودته من العمل ولو لساعة واحدة لمدة ثمانية أشهر كاملة ..هي نفسها فترة زواجنا.

ما الذي حدث ليخرج دون سبب واحد، مستلزمات المنزل أحضرها جميعها بالفعل نهارًا وهو عائد من العمل، ولسنا بحاجة لأي شيء آخر....لماذا سيخرج إذًا. استوقفته أسأله:

_لكن لحظة حبيبي!....إلي أين العزم؟

_سأخرج عادي.

هنا بدأت أشك فيه؛ عندما يرتبك الرجل ويعطيك إجابة مختصرة عامة لا هدف منها فهو حتما يكذب!

في عدم فهم وشك سألته:

_كيف؟!

_(زي الناس!)

قالها بلا مبالاة ودون أن يطالعني علي غير ما اعتدت منه، كان حينها يفتح الباب استعدادًا للمغادرة، بينما كنت أقف في الصالة أطالعه، وعندما أوشك علي غلق الباب من خلفه رفع مستوي بصره فتلاقت عينانا، فاستدرك:

_لن أتأخر عليكِ.

والمشكلة كل المشكلة أنه تأخر...تأخر كثيرًا ...تأخر ولم يهاتفني...تأخر وأغلق هاتفه عندما أردت الاتصال به ....تأخر و.....واخيرًا عاد

_أين كنت؟!

قلتها بغيظ والدموع تنسكب انسكابًا من عيني..مما أثار فزعه فتساءل مرتبكًا:

_هدير!...ماذا هناك ،هل حدث شيء؟!

_حدث أنك تلهو، وتتركني هنا وحدى..

لماذا تأخرت؟..لماذا لم تهاتفني؟!

نظر لي نظرته الحنونة التي تذيب الحجر، وقال برقة:

_معذرة حبيبتي...كنت مع أصدقائي.

_ولماذا لم تُجب علي اتصالي، ولِمَ أغلقت الهاتف؟!

_أنقطع الشحن و....

_وماذا؟!...هل كنت معها؟!....خفت أن يضايقها ردك عليّ؟!

_هدييير!....كفاك سُخفًا!

وتركني وذهب ....كدت أموت كمدًا جراء فعلته تلك، وكان هذا كاف جدًا لإشعال الشجار بيننا ؛ وكانت مشاجرتنا التي لا أعرف رقمها بالضبط عادية بسيطة لا تتعدى المناوشات والكثير من العصبية كهدنا.

ولكنني حتمًا سأوقعه في شر أعماله...يجب أن أراقبه جيدًا، وأكون على علم بكل كبيرة وصغيرة يفعلها.

وكانت تلك بداية عصبيته!

وكانت تلك هي بداية قصتي!

شحذت كل طاقتي وسكبتها على حياته... بدأت اهتم بأدق تفاصيله ووضعت افعاله وأقواله وكل ما يصدر عنه نصب عيني؛ لا يخطو خطوة إلا وسألته عن سببها.

أين كنت؟...اين ستذهب؟...ماذا فعلت بالخارج؟

تنتوى أن تفعل؟ لا يقوم بفعل إلا وطلبت له تقرير شامل ....مع من كنت تتحدث في الهاتف؟...ماذا قلتم ؟....لحظة اعطني الهاتف لأتأكد بنفسي! ....تأخرت على غير عادتك نصف ساعة كاملة بعد انتهاء عملك،ما السبب؟......لماذا تتأخر ليلًا وتتركني وحدى؟ لماذا تخرج من الأساس، ألا تكفيك الأيام التي نخرج فيها سويًا؟

قال لي أنني أضيق عليه الخناق ...وأنني لا بد أن أكف عن تلك المهزلة.

_أي مهزلة!.....هل تضحياتي من أجل الحفاظ عليك وعلى بيتي مهزلة؟!

_أرجوكِ وفرى تضحياتك وكونى طبيعية ....لم أعد أتحمل.

_ما الذى لم تعد تتحمله...انا من أتعب وأضحى وليس انت

...أفعل كل هذا لأهتم بك ولأشاركك ما خُفى عنك من تفاصيلك...

قال بتوسل:

_لا تهتمي إذًا ..اهتمامك هذا بمثابة رابطة عنق محكمة على رقبتي لا استطيع منها التنفس!

فكرت كي أجد ردًا مختصرًا مناسبًا يوضح له أهمية ما أفعل، ولكنه سبقني وبلهجة مغضبة قال:

_على فكرة!....أنتِ تعرفين جيدًا أنني لا أعرف أنثى غيرك.. وأن كل دقيقة أقضيها في الخارج تكون مع أصدقائي كما أخبرك...وأنني لا أكذب عليك قط.

صدق ....أنا فعلًا أعرف أنه صادق ...بل ومتأكدة أنه لا يعرف أنثى غيري وأنه مهما حدث لن يخونني...أنا أعرف شريف جيدًا ....شريف لم يُخلق ليكون وغدًا غادرًا، بل خُلق ليكون رجلًا ...رجلًا حقيقيًا، وهو قبل تلك الفكرة وتعايش معها ..بالتأكيد لن يخل بها ليثبت لي صدق ظنوني وأوهامي!

ولكن لماذا أنا أفعل ذلك ؟!

أنا نفسى لا أعرف! حقًا لا أعرف لماذا أفعل ذلك؟ أو ما الذي يدفعني لإرتكاب تلك السخافات..

ربما هي طبيعة الأنثى بداخلي التي تدفعها للغيرة والشك الدائم ، هذا إضافة لطبيعة الرجال الغادرة التي أثبتت وأكدت نفسها عبر العصور.

...أظن أن هذين سببين قويان وكافيان ..كافيان جدًا لما أفعله! ..ألا ترون هذا معي!

_ هل أكلت القطة لسانك؟!....انطقي!

صرخ بها فعدت من شرودي تائهة وقلت بارتباك:

_أ..أ..ن..ن ..نعم...أعرف أنك لم تكذب علىّ وأنك تحبني ...و....

_طالما تعرفين...ما سبب تلك الدراما المقيتة التي ربما خربت بيتك!

_م...م ..ماذا تقول؟!

اقترب منى وببرود عرف كيف يُشعل به نيران قلبي، قال ببطء في أذني:

_أقول لك أن أفعالك الهوجاء وتصرفاتك الساذجة غير المدروسة، سيكونان سببان قويين وكافيين لأن تخسري بيتك...أظنهما كافيين جدًا!

عقب بها بإبتسامة مصطنعة وهو يومئ برأسه ببطء عدة مرات في برود دليل التأكيد!

مادت الأرض من تحتي ...أو هكذا شعرت لهول ما سمعت، فأخذت نفسًا عميقًا قبل أن أضع يدى على رأسي وأجلس حيثما كنت أقف...

استندت إلى الحائط وأخذت أحملق في اللاشئ...غمرني الضعف وشعرت وكأنني أصبحت خارج الزمان والمكان ...كأنني خاوية تماما...كأنني لست أنا!

احساس قاس جدًا، أن تفقد الأمان فجأة ويتحول عليك مصدر أمانك، بل وتُصفع منه على غير استعداد بيد جامدة من ثلج تُحيل قلبك الدافئ إلى جلمود صخر، فتفقد الإحساس حد أنك لا تعرف من أنت!..إحساس مؤذٍ جدًا.. ومقيت بالفعل!

هذا كل ما كنت أشعر به وأنا ساكنة بلا حراك....نظر لي عدة مرات. شعرت بعينيه تخترقاني، كان ينظر لي بعدم تصديق نظرات عطف لا تخلو من الاعتذار ...اقترب منى بعدما كان قد أوشك على مغادرة الغرفة، وتساءل بحدة مصطنعة وكأنه يستحثني لأن أبادله الصراخ ليطمئن عليّ:

_لماذا تبكين الآن؟!

صوبت نظري إليه وحينما التقت عينانا أشحت بوجهي بعيدًا عنه: لا أريد أن آراه ....لا أريد أن أطمأنه عليّ ....لا اريد أن أتحدث إليه....لا أريد أن....

وهنا تفاجأت بيده تربت على كتفي، وهو يقول:

_هدير ...ماذا أصابك؟....هل انت بخير؟

لم أجرؤ على النظر في وجهه...ولم أجبه إلا بشهقات بكاء حارة، مما دفعه أن يجلس بجانبي ويقول:

_تعلمين جيداً كم أحبك..و...

لا أنكر أن تلك الجملة ورغم بساطتها فعلت بي الأفاعيل..إحساسه وهو يقولها لامس شغاف قلبي،لهذا تأثرت بها جداً؛....هذا بيد حبه الذى تأكدت منه في أشد المواقف حِلكة...كم من المعارك خاضها فقط من أجلى!

كادت ابتسامة عريضة تغزو ثغري دليل التأميم على كلامة...ولكنى وكأي أنثى عتيدة تحب أن تتدلل استبدلتها بابتسامة هادئة بزاوية فمي ظاهرها العتاب وباطنها الحب،وقلت:

_لا يا شيخ!

ابتسم بحب، وقال بصوت ملئ بالبهجة وهو يفرد ذراعية ليضمني إليه:

_ياوعدي! دلال الأنثى المحبة أكثر ما يحبه الرجل...فهو دائمًا رزين على عكس تصرفاتها!

قلت وانا أزج نفسى بين يديه:

_وغضب الرجل المحب أكثر ما تكره المرأة؛ لأنه دائما قاسٍ على عكس ما في قلبه!

لم يعقب...فقط طوقني بيديه، طبع قبلة على رأسى،ثم همس في أذني:

_بحبك يا بت!

فاختلطت علىّ المشاعر..؛مشاعر الحب ...الفرحة والسعادة فقلت له ودموع الفرحة تتلألأ في عيني:

_والله لأعد لك أجمل كعكة.

رومانسي جدًا شريف كما ترون ..

أعتقد أن بعض الفتيات يهمسن الآن حسدًا في سرائرهم " (خسارة فيكِ الراجل)" ، ويتساءلن في حقد:

_هذا الملاك المجنح، هل لا زال متزوج منكِ؟...متى سيتم الطلاق؟!

أما عن الشباب فإن فكروا في شيء فسيكون:

_هل كل النساء نكديات هكذا؟!

أما السؤال الجديد بمن يقرأون القصة من أجل عنوانها فهو حتمًا:

_أين عصبية زوجك التي تقولين عليها؟! هذا العنف؟...ألا ترين أنكِ تبالغين؟!....هل تعانين حساسية مفرطة تجعلك تصفين الهمس بالعصبية ..والرقة بالقسوة؟! والهدوء بالعنف؟!

سأجيبكم جميعًا:

الفتيات والنساء الشامتات...سامحكن الله.. ها هو ولأول مرة يترك البيت...أتراه سيفاجئني بورقة طلاقي؟

للشباب المقبلين على الزواج والخائفين من نصيبهم:

لسيت كل النساء نكديات..ثمة فرق بسيط بين الاهتمام والنكد المرأة الذكية تعرفه جيدًا.

أما لأولئك الذين يتساءلون:

أين عصبية زوجك؟ لم نرِ إلا شخص هادى رزين يعرف جيدًا كيف يكبت غضبه!

فلكم ولسابقيكم أقول:

_انا أيضًا كنت أرى شريف شخص هادئ رزين يعرف جيدًا كيف يكبت غضبه ...ولكنه في الآونه الأخيرة أصبح عصبي.. عصبي جدًا...عصبي حد السب وتكسير الاشياء ...عصبي حد الصراخ ولكم الحائط بيده من كثرة الغيظ ...عصبي حد..أ..

تسألون ما الذى بدل حاله هكذا؟

حسنا...سأخبركم..

متى بدأ الامر...؟!

بعد اللحظات الرومانسية التي شهدتموها ...بعد جملة "بحبك يابت" كنا نأكل الكعك مع كوبي شاي، وفجأة وبدون مقدمات قطع(شريف) صمت كنا نتبادل فيه نظرات الحب والهيام، وقال بصوته الأجش:

_لا مشاكل بسبب الغيرة بعد اليوم ...مفهوم؟!

كادت الكعكة تقف في حلقى فبلعتها بصعوبة مع رشفة شاي...ولم أجد ما أقوله فبادلته ابتسامة عريضة مصطنعة.. مرتبكة ومستفسرة في نفس الوقت.

فقال مجيبًا على ما استفسرت عنه بإبتسامتي:

طالما تثقين بي ، فأنا أرى أن غيرتك الزائدة تلك _والتي لا أجد لها داع_ تدينك بالخطأ ..لا أريد لك هذا الخطأ، وأجدك عاقلة بما يكفى لتدرئينه عنك.

ثم نهض عن كرسيه المواجه لذلك الذى أجلس عليه...وقف خلفه...رفعت رأسي للخلف عكس اتجاهها لأراه، عندها إلتقت عينانا ..فقال برجاء وهو ينظر في عيني ويضم كفاي بين كفيه العريضين:

_عديني أن تفعلي.

وطبع قبلة على جبيني...فابتسمت ولم أجد إلا أن أقول:

_أعدك.

وكانت تلك آخر مرة أرى فيها هدوء شريف...حنية شريف....ورومانسية شريف!

هذا إذا لم نضع آخر (خناقة) لنا والتي لم يمر عليها سوى ساعتين في الحسبان ...تلك (الخناقة) التي ترك بسببها البيت ولا زلت لا أعرف السبب!

يبدو أنه حاول جاهدًا أن يكون لطيفًا تلك المرة، فجاء اللطف في غير موضعه مع نكدية مثلى...استقبلت لطف وود غابا عنى باستهتار وغباء كاسحين ...

ولكنني على يقين أنه سيعود ولن يبيت خارج بيته ...أعرف أنه اختنق منى لأنني لم أفي بالوعد...أعترف أنني تصرفت بغباء حينما كذّبته وشكتت في

أقواله، وسألته إن كان شارك تلك التي أزعم أنه يعرفها طعامها لهذا سينام دون عشاء!

تهور أنثى ليس إلا... أرجو أن يغفر لي ...لن أنام وسأنتظره ..أعرف انه قادم، ولحين عودته أبقوا معي فانا أخاف الليل شريف يعرف ذلك ورغم ذلك تركني وحدي...دعونا نتسلى ...السؤال الجدير بالطرح الآن:

هو لماذا تحول شريف من شخص هادئ إلى عصبي؟!

لا بد من سبب ... نعم هنالك سبب...وهذا السبب قد يكون غريب جدًا بالنسبة لكم، ولكنه بالنسبة لي أشد وطأة وقوة وتأثيرًا من معرفة أنثى غيرىّ....أنهم أصدقائه!

عندما يهملك زوجك بسبب أصدقائه ستعرفين أي نار اكتويت بها ....ستدركين كم عانيت وبماذا شعرت.

كان يوما عاديًا كباقي الأيام التي يطيل فيها السهر مع أصدقائه عندما واجهته ...كان للتو يدخل منزله...نظرت له بغيظ وتمنيت لو انقضضت عليه وأنشبت أسناني في رقبته، فبادلني نظرتي بأخرى سمجة مستفزة وكأنه يقول بشماته وهو يخرج لي لسانه:

" ستموتين غيظا لأنك لا تجدين ما تفتعلي من أجله المشاكل!

استفزني!

تلك ليست المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك!

ليست المرة الأولى التي ينظر لي فيها تلك النظرة المؤلمة!

ليست....أ...وفجأة تذكرت كل ما دار بيننا في الفترة الأخيرة:

***

_تعبت لم أعد أتحمل!

كالعادة كان عائدًا من سهرته مع أصدقائه ...نظر لي بإهمال، فاستدركت:

_تتركني وحدى ساعات طوال ..تهملني ..تتجاهلني وتتجنب الحديث معي، لم أعد أتحمل!

_بل أنا من لم يعد يتحمل!

تساءلت بغلب وحرقة:

أي شيء هذا الذى لم تعد تتحمله حضرتك؟ هل أتركك وحدك بين جدران أربع لألهو مع صديقاتي جل اليوم؟!

صاح بغضب:

_كثير....الذى لم أعد اتحمله كثير..!

لم أعد أتحمل جو المراقبة والتحقيقات اليومية ..كثرة الحديث وإفتعال المشكلات.. وأود لو عرفت، ما الذى يضايقك إذا ما قضيت بعض الوقت مع أصدقائي؟!....ها؟!

_تقصد الكثير منه!

تتصرف بأنانية ولا تراعى ما سيقوله الناس عنى ....أَ نسيت أنني لا زلت (عروسة)جديدة؟! ثم أكملت بمرارة:

(عروسة) جديدة وحضرتك تتركني وحدى قبل حتى أن ننجب طفل صغير تتحجج بصراخه..

ثم صرخت فيه بألم:

_أتفهم معنى ذلك؟! معناه أن النسوة سيقولن أنك (تطفش) من وجهى لأنني لم أعجبك، وأنني لست جميلة.

ثم زدت بحسرة:

_كل هذا وأنت لا تبالى!

_ولن أبالى.....ارتحتي؟

صرخ بها وهو يلكم الحائط بعصبية بقبضته، حتى أنني زُعرت من منظره ؛ جحظت عيناه وأصبحا حمراوين، فاصبح هو أقرب لثور هائج مخيف...ثم استدرك وهو يلهث:

_ أنتِ تتصرفين بغباء؛ تغارين غيرة قاتلة غير عاقلة من لا شيء، وتطور أمرك حتى وصل بك إلى الغيرة من أصدقائي..

هل جننتي؟!

حينما كنتِ تزعمين أننى أعرف أنثى غيرك، كان الأمر مقبول لأنه يفسر طبيعة الأنثى بداخلك....ولكنكِ تماديتي إلى حيث لا وجود لأى تفسير!...و...

قاطعته بحرقة:

_قلت لك التفسير، ولكنك وحدك لا تريد أن تبالى لي ولا لكلامي!

قال وقد هدأت نبرته بعض الشيء:

_حسنًا....أنا أتصرف كرجل، وهذه طبيعتي.

ثم صرخ في:

_لا تفتعلي المشاكل إذاً؟

قلت له أننى أتصرف كأي إمرأة طبيعية يهمها بيتها..وسألته بغيظ:

هل تأكدت الآن أنني لا أفتعل المشاكل؟!

قال بلا مبالاة:

_تأكدت أنك عنيدة غبية!

نظرت له بغضب واستنكار، فقال:

المرأة الغبية هي التي تبالغ في غيرتها على زوجها من أنثى لا وجود لها ظنًا منها أن هذا سيضاعف لها الحب في قلبه،ولكن _ للأسف_ ما يحدث على النقيض تمامًا!

وضع سبابته على فمه ليمنعني عن مقاطعته واستكمل:

إذ أن هذا يدفع الرجل للبحث عن تلك التي تخافها زوجته لأنها أجمل وأفضل منها!

تبًا لكن أيها النسوة! تكثرن الحديث عن الخيانة؛فترسمن لنا طريقها مزينًا، إلى أن نفكر جديًا في الأمر!

ثم أمسك بمعصمي بغلظة، واستدرك:

- على فكرة، كادت قدماي تنزلق في هذا الطريق لكثرة حديثك عنها(الخيانة) وكأنها واجب لابد أن يفعله أي رجل...ولكنني امتنعت..

أتظنين أن حبى لك هو السبب؟!

بل لست الذى يفعلها؛ لأن الله نهاني عن ذلك الفعل!

***

وهنا انفعلت ...زجيت بقوة على أسناني دون فائدة،

وفجأة قررت كل حماقات الأنثى بداخلي أن تطفو على السطح لتعبر عن نفسها ووجدتني أقول له:

_(على إيه يا منيل)!

تغيظني لأنني أحبك وأوليك اهتمامًا! ثم زدت وأنا أمصمص شفتي:

_ أنت تعلم جيدًا المثل القائل " القرد في عين أمه غزال ..

ولأنني أحبك_ للأسف_ صارت لك مكانة الأبن في قلبي.

لم اكتفِ برغم النظرة النارية التي كاد يمزقني بها وقلت:

_تظنني أغار عليك لأنك محل نظر الفتيات؟!

هيه.....فلتنظر في المرآة إذاً لتعرف أن لديك سحنة لولا حبى لك لما استطعت أن انظر فيها ...وهذا ما لن تفعله فتاة أخرى غيرى إلا إذا كانت عمياء!

وزدت بظفر وأنا أوليه ظهري معلنة نهاية الحديث وكذا انتصاري:

_واطمئن لا توجد فتاة عمياء غيري!....اتوكس!

في تلك اللحظة جذبني من ذراعي، وقال وهو يلقيني بقوة على المقعد الوثير الذى كنا نقف بجانبه:

_(اتهدى يا ولية)!

فاتهديت!

في تلك اللحظة والتي من المفترض أن يتملكني فيها الخوف إلا أننى وعلى النقيض تمامًا؛ غمرني الأمان وشعرت بالسكينة تدثرني بثوبها الفضفاض...أحسست أننى في كنف رجل قوى يستطيع أن يحميني حتى من نفسى، فهدأت، وظللت أرمقه وهو واقف يشخط أمامي بنظرات الأعجاب.

عندما يُظهر الرجل قوته التي لطالما كبتها، تشعر الواحدة فينا بالأمان..وقد أظهر هو منها ما يكفى لأن تغمرني السكينة، فوجدت نفسى أقطع حديثه لأسأله بحياء وصوت خفيض:

_أعملك كعكة يا أخويا؟!

فشخط في وقال بغضب:

_لم أنهِ كلامي بعد!

حينما يسيطر الرجل تطمئن المرأة، لهذا ابتسمت، وظللت أرمقه بنظرات حب هائمة؛ فلا شيء أهم عند المرأة من شعوري الأمان والطمأنينة!

يااااه! على مثلها لحظات دافئة ..أذكر أننى بعد كل هذا صنعت كعكة لذيذة لشد ما أعجبت شريف حتي أنه قال لي " تسلم الأيادي" ...و

(اهق...اهق...اهق.....)

أين أنت الآن يا حبيبي؟!

تُرى أين ذهب حبيبي شريف بعدما ترك لي المنزل؟...هذه أول مرة يفعلها!

(...اهق...اهق...اهق..........)

اتمنى ألا يكون بكائي قد ضايقكم .. اعذروني، أنا فقط أشتاق للحظة أمان مماثلة،...أشتاق لشريف ..عصبيته ...غضبه ....صراخه وكل ما يصدر عنه.

اشتاق لزوجي (اهق...اهق)...أينعم لم يمر ثلاث ساعات على مغادرته للمنزل، ولكنني افتقده جدًا..إنهم أطول وأبطئ وأقسى ثلاث ساعات مروا عليّ في حياتي كلها..

أين أنت يا شريف؟! (اهق...اهق...اهق)

حينما يعود سألقى بنفسي بين ذراعيه وأخبره كم إفتقدته! وكم أحبه...سأسأله العفو...سأقول له أننى لن أضايقه مرة أخرى.....وأننى.. أ..

هل تسمعون؟!....الباب!...إ..إ..ا ...إنه حتمًا شريف.

وانطلقت تركض عبر الصالة عندما وقعت عينها عليه فصرخت:

_شريف! ماذا حدث؟!

***

لنترك هدير الآن تستقبل زوجها،أسمعكم تتساءلون: من الذى سيقص علينا باقي القصة إذاً؟!

أقول لكم لا داع للقلق؛ فالمؤلف موجود، وأعدكم ..ستعرفون كل شيء وحالًا.

ولكن دعوني أولًا أشكر هدير لأنني أرهقتها معي، وجعلتها تقص عليكم ما حدث معها على لسانها..في الحقيقة هي من أصرت وأبت إلا أن تحكي قصتها بنفسها؛فهي أبدًا لا تثق في المؤلفين بجملهم المزخرفة..استعاراتهم وكناياتهم..وتجد الزيف وتضليل الحقائق في كل ما يقولون، ولولا أن هناك قرّاء يودون معرفة النهاية...ولولا إنشغالها وقلقها على زوجها لما تدخلت بعد الذي قالته لي خلف الكواليس.

تصوروا، قالت لي نصًا " أنا أعرف حركات المؤلفين في جذب القراء..ابعد يا أخويا لا أحتاج مساعدتك..لي لسان منه للجمهور مباشرةً لست بحاجة لفكر المؤلفين الصاعد وكلماتهم التي تشبه الزلط..قلت لها أن المؤلف فتاة مثلها فلا تقلق..قالت:" عدو المرأة ليس إلا إمرأة مثلها..لا أضمن تلاعبك بالألفاظ وبأي صورة تودين إظهاري بها..ربما إخترتي لي صورة المرأة الشرسة الثرثارة التي لا تكف عن النكد ثم تتقمص دور المظلومة!

كدت أقول لها أنها لم تخطئ وصف نفسها..لكنني آثرت السلامة وانسحبت بهدوء وفقًا لرغبتها.

كما أنني أظنها مرهقة جدًا الآن فهي تحكى منذ ثلاث ساعات متواصلة،استرجعت فيهم كل مشاجراتها مع زوجها قبل مشاجرتها الأخيرة والتي ترك لها فيها البيت ...أتمنى أن تكونوا قد فهمتم ما قصته عليكم، وألا تكونوا قد شعرتم بأنكم تلعبون المتاهة، وأن شعور التيه قد نال منكم..

ما حكته كثير فعلًا...وأتمنى لو غفرتم لها ذلك؛ فهي لسيت إمرأة كثيرة الكلام كما ظننتم بها..ولكنه المؤلف...المؤلف هو من فرض عليها كل ذلك كما قالت هي!

أين وقفت هدير؟! ..مممم..أها!

كانت(هدير) تقص علينا حكايتها عندما سمعت صوت ولوج مفتاح في الباب، فانتفضت وركضت عبر الصالة الواسعة وهنا تفاجأت بشريف يقف مستندًا برأسه على الحائط في تعب، فأسرعت إليه دامعة العينين، وتساءلت بقلق وهي تمسك به:

_ماذا بك يا حبيبي؟! ..سلامتك ..كدت أُجن عليك!

نظر لعينيها القلقتين، وسألها بإرهاق واضح:

_ تحبينني؟!

بدون تفكير أجابت:

_ أنت حياتي!

قالتها بحب فوجدت الجملة طريقها إلي قلبه ..ولكنه لم يجد إلا أن ينظر لها نظرة طويلة صامتة.

_ يقطعني أنا السبب! .. أنت متعب للغاية ..لا بد أن ترتاح إلي أن أعد لك شيئًا تأكله ..وساعدته في الجلوس علي الأريكة، وكانت في طريقها إلي المطبخ عندما إستوقفها: هدير!

وعاود يسألها:

_تحبينني؟!

عادت أدراجها، وقالت وهي تنظر في عينيه:

_ قلت لك أنتَ حياتي.

_ حسنًا ..وأنتِ جزء من حياتي!

قالها بصدق حتي أن الكلمة استقرت كالخنجر الحاد في قلبها ..فتساءلت بإستنكار وعدم فهم:

_ ماذا تقول؟!

بطريقة عملية أجابها:

_ هذا ما لم أستطع أن أفهمه قبل تلك اللحظة.

تساءلت وهي تغالب دموعها:

ت ..ت ..تعني أنك أصبحت تكرهني؟! ..لم تعد تحبني؟!

_ بل أحبك .. وكثيرًا ..و..

قالت وقد إنتابتها حالة عدم الشعور والخواء، فبدت كطفلة تائهة:

_ ت ..تعني أن محبتك لي قلت لأنني أفتعل المشكلات كما تقول...و.. و..وأنك لم ....

لم يتحمل شريف ضعفها تلك المرة، وأحس أن هذا الضعف يغزوه هو، فتملكه الحزن والآسي، ولم يملك إلا أن يواسيها:

_هدير! ..اسمعيني ..أنا أحبك..أحبك..و..أ ماذا؟! ..تبكين؟!

وضمها إليه حتي هدأت ..عندها أول ما قاله:

_ لا بد أن نحكي.

أظهرت إعتراضها..وقالت:

_ فلينتظر الكلام ..الصباح رباح..لا بد أن ترتاح ..التعب جلى علي وجهك!

حينها شعر شريف بحبها يتراقص في قلبه، حتى أنه لم يجد شيئًا من الصعوبة ليقول لها بصوت قوي، وهو يحدق بثبات في عينيها:

_ أحبك.

كلمة في العادة يخجل الرجل المحب أن يقولها مهما كان مقدار حبه! ..ولكنها سهلة اللفظ علي من لا يفقه لها معنًا ؛ الرجل المحب حقًا يتكلم بالأفعال لا بالأقوال.

وشريف محب، يحب فعلًا هدير.. يحاول أن يتغاطي دائمًا عن أخطاءها مهما فعلت ؛ فهي سنده في تلك الحياة، ولكنه في تلك اللحظة خصيصًا يكن لها أضعاف حبه..يكفي أنها (ورغم حزنها منه) خافت عليه كإبن وأحتوته كأم، فلُسمعها لها علها تعرف كم يحبها!

قالت بإبتسامة رقيقة:

_ أعرف.

فإبتسم لتفهمها وعاد للهجته العملية، وقال:

_ عندما تزوجت منكِ ملئتي عليّ حياتي، ولا أقصد من (ملئتي) هنا أنك شغلتي كل حياتي..تعرفين الأشياء الجديدة التي نحصل عليها بعد إلحاح تستحوذ كل إهتمامنا، وتأخذ من وقتنا حتي علي حساب أنفسنا..ولكننا نعتاد .. لابد أن يأتي الوقت الذي نتأقلم فيه ونعتاد، وعندها نخصص لها وقتها المناسب..

كادت تقول له أنها بالكاد أصبحت تراه..فأين هذا الوقت الذي يخصصه لها؟! ..ولكنها قررت أن تتقمص دور المرأة الذكية قليلة الكلام، فلم تتفوت بل نظرت له نظرة مستفسرة فهم معناه، فاستدرك:

_ حياة الرجل تشمل عمله ..هواياته..أهله ..عاداته ..أصدقائه ..ثم تأتي زوجته!

آخر من تدخل حياة الرجل زوجته ..ولكنها تبقي الجزء الأهم فيها: فهي كالشمس لا بد أن يرتكن إليها لينال منها الدفء ..وكالقمر تُنير له حِلكة

أيامه..وكالنجمة يهتدي بها ..وتبقي له الأم والأخت والزوجة والحبيبة والصديقة.

المرأة محل سكينة الرجل إلا أن طبيعة إهتمامه تختلف عن طبيعتها؛ المرأة تضحي بحياتها في سبيل سعادة من تحب..فتهبه حياتها عن رضا ..تكثر التفكير فيه وفيما يحب ..تتجنب ما يكره .. تعطيه أولوية عن نفسها حتى يصل بها الأمر إلي أن تشعر به حتي قبل أن يتكلم..نحن الرجال لا نهتم بتلك الطريقة.. نحن نكن الحب في أعماقنا ولا نقول ..تلك طبيعتنا التي خلقنا الله عليها..و...أ ...

لم يعرف كيف يفسر أكثر ..كيف يقول لها أن الرجال أنانيون!. لم يجد إلا أن يباغتها بسؤالها عن حياتها السابقة:

كيف كنتِ تحيين قبل أن أتزوجك؟!

ردت بتلقائية:

_كأي كائن حي!

كنت أهتم بعملي ..أهلي ..حياتي ..نفسي. هواياتي..و

_وأين كل هذا الآن؟

فهمت ما رمي إليه، فقالت:

_ مذ تزوجتك رأيت فيك كل هذا فأكتفيت بك..رأيت فيك سند الأهل..أمان الحبيب..رأيتك العالم والحياة تدور من حولك!

_ خطأ ..خطأ! ..أكبر خطأ ترتكبنه يا معشر النساء في حقكن، أن تجعلن من شخص محورًا لحياتكن ..لا بد أن تحمكن عقولكن ولو قليلًا..

ثم زاد بتوسل:

أرجوكِ ..لا تهتمي بي كثيرًا..لا تشغلي نفسك بي ..لا تجعليني المحور الذي تدور حياتك حوله ..عامليني كأي إنسان عابر في حياتك لا تبالين له.. دعيني أشتاق لك،حينها سأبحث عنك بلهفة وجنون عاشق عطشان يفتقدك ولا سواكِ يروي عطشه ..في تلك اللحظة ستصبحين حرفيًا كل حياتي..يظل الرجل يحب المرأة في صمت إلي أن تأتي اللحظة التي تجبره فيها علي أن يقول لها " أنتِ كل حياتي" ، والمرأة وحدها المسؤولة عن تلك اللحظة: المرأة الذكية هي من تعرف كيف تجعل الرجل يشتاقها ولا يملها ..تفهم متي تبتعد وكيف تقترب .. تتقن متي تتكلم ومتى تسكت.

ثم مسك يديها في رقة وحنان، وقال:

_أظننا لا بد أن نجرب هذا..حتي ولو بالتمثيل..ما رأيك؟! ..توافقينني؟!

أمام حكمة شريف وقدرته علي الإقناع..إضافة لدور المرأة الذكية الذي قررت أن تلعبه ..قالت دون تفكير:

_ أوافقك تمامًا.

لم يصدق شريف أذنيه ..لم تسعه الفرحة ولم يعرف ماذا يقول، فسألها في خفة:

_ ألن تخبري الفتيات اللاتي صدعتي رؤوسهن بقصتك، بتلك النصيحة القيمة؟!

_ لا تقلق ..يبدو أن المؤلف سيتولي الأمر..وربما أعطاهم نصائح أخري عديدة ..طبعًا نحن في غني عنها؛ إنه ثرثار..ثرثار إلي حد لا يُطاق ..

تصور! جعلني أحكي قصة حياتي للجماهير، منذ خرجت وأنا أحكي، ولم أتوقف إلا عندما جئت ..الحمد لله أنك لم تكن موجود وإلا جعلك تحكي قصة حياتك أنت الآخر ..هذا غير أنه صادق حد الفظاظة تصور! قال عني أن رأسي صلعاء كطفل رضيع وُلد لتوه ..أقصد ..جعلني أقول ، لا أعرف كيف!

أنت زوجي حبيبي ولم تقل لي مثل هذا الشيء طوال مدة زواجنا، لا أعرف كيف يجرؤ هو!

وتشابكت أيديهما وهما في طريقهما إلى الغرفة، فقالت هدير في منتصف الطريق..ربنا يستر من هذا المؤلف..أخشي أن يقول عني ما لا يرضيني..أقصد تلك المؤلفة؛ قالت لي أنها فتاة ولكنني لا أثق في أيًا منهم ، ما الفرق في أن يكون المؤلف فتاة أم شاب طالما جميعهم يتلاعبون بالألفاظ!

قال لها شريف في عدم إكتراث:

_ حبيبتي ..دعكِ من ما هذا الأمر الذي يشغل بالك! وانتبهي لي؟

لم يلبث أن ينهها حتي وضع يده في جيب بنطاله، وكان على وشك أن يُخرجها بشيء ما، عندما صاحت هدير بفرحة عارمة:

_ واااو ...هدية! لحظة يا شريف..تلك المؤلفة لا بد أن ينتهي دورها إلي هنا ..ثم نظرت لي وقالت في عدم تهذيب:

_لقد إنتهي دورك..انصرفي بعيدًا عنا وإلا...

طبعًا وليتها ظهري معلنة الرضوخ لطلبها قبل أن تتم جملتها بعد (إلا) هذه..ولكنني سمعت شريف يعنفها علي فعلتها تلك:

_هدير! أيتها الغبية ..ماذا فعلتي؟!

_ طردتها!

_ يا لوقاحتك ويا لغباءك ..كيف سيعرف الجمهور كنه الهدية التي أحضرتها لك؟! ..ألم تفكري في الأمر قبلها؟..دائمًا متهورة ومتسرعة!

_ شرييف! ..لا تصرخ فيّ لأجلها!

_ بل لأجلك أنتِ ...كيف ستعرفين ماهية الهدية التي لا زالت عالقة في بنطالي..كل فعل يصدر عنا بناءً على رغبة المؤلف..وها هو غادرنا تلبيةً لطلبك..ماذا أفعل الآن؟!

_ تقصد المؤلفة.. هل أعجبتك؟! ..تبدو رقيقة جدًا، أليس كذلك؟!

_ هديييير!

_ شرييييف!

***

ثم انقطعت عني أصواتهم ..لكن إطمئنوا، ولا تقلقوا بشأنهم؛ لا أظنهم سينفصلان من أجلي!

العفريت اللص

"والغريب أنه لم يرتبك ..والأغرب أنه ورغم كل محاولات الصراخ والإستنجاد التي قمت بها في الثالثة فجرًا إلا أن أحدًا لم يسمعني!"

***

أدعى بسمة، أبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا، لدي من الاخوات: أخين وأختين، نحيا جميعا تحت ظل أبي وأمي في منزل مكون من خمس حجرات.

تميزت عن أخواتي البنات بحب العمل،وهذا كان السبب الوحيد لما عانيته ولمدة ثلاثة أشهر..دعوني أسرد لكم ماحدث في تلك الليلة اللعينة.

كان يوم خميس عندما أحضر أبي معه مجموعة الستائر التي تم الاستغناء عنها في عمله. قررت أن أنظفهم جميعهم بمفردي،بدأت بوضعهم في ماء ساخن جدًا، كررت ذلك ثلاث مرات قبل أن أبدأ مرحلة الغسيل الفعلية،وفي كل مرة كنت أعصرهم بقوة ،وأخيرًا قمت بفردهم فى الهواء الطلق حتى يجفوا تمامًا.

بعد عمل شاق طوال اليوم نمت بعمق..ورغم ذلك استيقظت ليلًا علي أصوات بحجرتي، يبدو أن هناك شخص ما..

ولكن من هو ياتري!

ربما أمي أو أحد أخواتي، لم أميز بعد؛ فالإضاءة التي تنبعث من نافذة حجرتي خافتة جدًا رغم اقتراب موعد أذان الفجر

وبصمت وبدون أي حركة أخذت أنظر إليه ..لم يكن فتاة بل رجلًا ،وحينها خمنت أنه ربما والدي أو أحد إخوتي الذكور ، رغم أنها ليست عادة أي منهم دخول غرفتي.

وبصوت خفيض تساءلت:

_"من هناك، وماذا تريد ؟!"

التفت إليّ وطال صمته، مما جعل الرعب يتسلل لقلبي، نظرت له علي أمل أن يُفصح عن هويته ، لحين أن أضئ المصباح..في تلك اللحظة اقترب مني بخطوات بطيئة ثم قال باقتضاب:

_"لا تفعلين! سأغادر حالًا "

نبرة صوتة تبدو غريبة؛ إنه ليس أبي، ولا أحد إخوتي..إنه حتمًا لص..

شجعت نفسي وبحركة مباغتة أمسكته بكل قوة وصرخت:

_"إنجدوني....لص...لص...أمي!...أبي!

تعالا بسرعة...لص "

وبدون أي مقاومة نظر لي وقال بهدوء:

_"تبدين جميلة جدًا، لن آذيك إذن ، رغم ما فعلتيه بي "

_ "كفاك حديث أيها اللص...أنا لست غبية "

_ "لا تصرخي وإلا وصفوك بالمجنونة ؛ لن يراني أحدًا غيرك..لن آذيك وسأذهب بسرعة "

قويت من قبضتى على قميصه،وأجتذبته منه بقوة وقلت:

_ "لن ادعك تهرب أيها الغبي "

وفجأة صرخت:

_"إنجدوني ، إنجدوني ...بسرعة ...لص.."

والغريب أنه لم يرتبك...والأغرب أنه ورغم كل محاولات الصراخ والاستنجاد التى قمت بها فى الثالثة فجرًا إلا أن احدًا لم يسمعنى.

عاد ينظر لى وهو يصدر طقطقة بفمه:

_ "تؤ تؤ تؤ! ....جميلة وقوية أيضا؛ لقد مزقتي لي القميص، ورغم ذلك لن آذيك.

لن آذيك رغم وجهي الذي حرقتيه.

لن آذيك رغم كونك السبب في كسر عظمتين من يدي وأخرتين من أضعلى..

لن آذيك رغم كونك السبب في فقء إحدى عيني..

لا تتساءلى لماذا جئت إذن، لأن جمالك أفسد كل ما خططت وأنتويت فعله"

ثم أكمل بصوت هامس:

_"أنا لست إنسانًا....نعم! لا تتنظرين لي هكذا..أنا ميت..ميت منذ سنوات"

تساءلت بعصبية:

_ "وهل تتهمني بقتلك ، وأنا لم أقتل من قبل ؟!"

رد بهدوء:

_ "ليس كما قولتي أيتها الجميلة؛ ولأجل عينيك العسليتين هاتين سأسرد لك حكايتي،وسبب مجيئي إلي هنا ..فقط اصغى لى:

"أنا شاب ثلاثيني، كنت أعمل بنفس المصلحة التي يعمل فيها والدك ، وفي إحدي أيام العمل نشب عراك كبير بيني وبين صديق لي، صالحني بعد ساعتين فقط ؛علي أن يحضر لنا مشروبًا ننسي به ما فعله. وبعدما أنهيت مشروب الشوكولاته الساخن خاصتى والذى أشترطه لأن يكون سببى الوحيد للصلح، نظر لي بإبتسامة صفراء شعرت إثرها بآلام شديدة بكامل جسدي،

صرخت فيه:

_ "انقذني ياصديقي "

نظر لى بلامبالاة،وأخذ يضحك بفتور ثم قال:

_"انتظر قليلًا وسينتهي كل شئ!

؛الموت يبدو صعبًا فى البداية "

ظللت أتخبط ذات اليمين وذات اليسار من شدة الآلام، وأخيرًا علقت بالستائر ولم أقو علي الحركة، وما كانت إلا دقائق حتي سلمت آخر أنفاسي"

عندما أنهى قصته قال لى بصوت باك:

_"أتعلمين! لقد كان محقاً...هذا الوغد كان محقًا

تألمت في البداية ثم سكن ّكل شيء.. وظلت روحي تحيا بسعادة في أخر مكان فاضت عنده..عند الستائر"

صمت قليلا ثم أكمل:

_"لقد كنت جميلًا وأحيا بسعادة وبدون خجل الى اللحظة التي فعلتِ بي ما فعلتِ لماذا فعلتِ بى ذلك؟! ؛الماء كان ساخنًا جدًا..ثم لماذا عصرتيني بتلك القوة ؟!

أنتِ أفسدتى حياتي.. ورغم ذلك سأرحل"

باستخفاف وحدة قلت له:

_ "هل تراني جاهلة أمامك؟!

أنا أمسكك الآن....أنت إنسان ، وليس كأي إنسان.. أنت لص...لا تخدعني إذن!

ثم سألته بلهجة من كشفت خدعته:

_"ما الذي تود سرقته.؟!

هيا أجب، هل تخجل أيها اللص..؟!..لص ويخجل ..هه!"

لا أعلم ما الذي فعلته فيه هذه الكلمات! حاول دفعي بعيدًا،وكانت هذه أول محاولة مقاومة له، ولكني جذبته بقوة مما تسبب في سقوط زر من قميصه، و بسرعة إقتربت من المصباح وحينما أضاء.. رأيت شابًا قوي

البنية، متوسط الطول،هناك قناعًا لونه أسود يخفى ملامح وجهه، كان يرتدى قميصًا أحمرًا بأزرة حمراء وبنطال جنز أزرق.

صرخت فيه:

_ "وماذا عن هذا القناع أيها المحتال ؟!"

رد وهو يدفعني بعيدًا عنه:

_ "كل هذا بسببك "

ثم أمسكني من ذراعي بقوة وقال:

_ "لقد شوهتيني،أتعلمين!

لم أفكر قط فى إيذاء من قتلني لأنه تركني جميلًا، أما أنتِ فقد أفسدتى كل شيء.. كل شيئ أيتها الجميلة "

وعلي صوت أذان الفجر، تركني ورحل، صرخت حينها بقوة بصوت باكٍ:

_ "أنقذوني "

فوجدتهم جميعًا حولي يرددون بشفقة:

"ماذا بك ؟!

لماذا تصرخين ؟!"

_"أسرع يأبي ، هناك لص ، لقد خرج من هنا لتوه "

بحث أبي وأخي في كل مكان بالمنزل،لكن كل شيء علي مايرام..فالباب مغلق،والنوافذ أيضًا، ولا يوجد أى آثارُ للعنف.

اقترب أبي مني..وضع يده على رأسى..سمى الله ثم قال:

_ "يبدو أنه كابوس ياعزيزتي، كل شيء مرتب، ولا يوجد إلا نافذتك مفتوحة،

ولكن هل يُعقل أن يقز اللص من الطابق الثالث ؟! "

نظرت له بخوف ثم قلت وأنا أرتعش:

_ "ولكنه خرج من الباب يا أبي....أنا رأيته!

لقد مزقت له قميصه و......"

وبعدما سردت لهم كل ما حدث، شرع بعضهم فى الضحك، بينما لاذ البعض الآخر فى صمته، ثم تحدثوا بالتوالي مجمعين أن كل ما سردته ما هو إلا مجرد كابوس لعين..

تقبلت فكرتهم، وبعدما أنهينا صلاة الفجر عدت للنوم مجددًا..

وفي اليوم التالى أستيقظت وقررت أن أنسى الأمر ..بل بالفعل كنت قد نسيته..وفى الظهيرة انتويت تنظيف المنزل بأكمله، بدأت بحجرة والدي، ثم حجرتى إخوتي الذكور..ثم حجرة أختيّ؛ منيرة التى تكبرنى بعام واحد، ونسمة التى تمت السابعة منذ شهرين..

والآن لم يتبقِ أمامي سوى غرفة واحدة..

بالطبع! غرفتى أنا.

طفقت أنظف وأرتب..أكنس وأمسح..و...ما هذا؟!

وقعت عينى على شئ صغير جدًا ولكنه مخيف جدًا جدًا ..وأخذت أصرخ بعدما شعرت بإن حركتى أصبحت ثقيلة:

_"أمي! .. أبي!"

كانت أمى أول من تقتحم الحجرة..ركضت إلىّ حيث كنت جالسة بإهمال على الأرض، وسألتنى بفزع:

_"ماذا بك؟! ..لماذا تصرخين؟!"

كانت تفاصيل ليلة أمس تتجول فى ذاكرتى بحرية تامة، وأبت إلا إن تذكرنى بنفسها، فأنخرطت فى بكاء غزير ولم أجب..مما جعلها تسألنى بقلق:

_"علام تنظرين؟! ...وما الذى تشرين إليه بإصبعك؟!"

فى تلك اللحظة انضم إلينا أبى وبقية إخوتى

..فقلت وأنا لازلت أُشير بإصبعى غير بعيد:

_" هل ترون هذا الزر الأحمر؟! "

إنه زر العفريت الذى زار بيتنا أمس، قال لى أنه جاء لينتقم منى ..

وشرعت فى بكاء مرير وأنا أرتجف.

فأخذنى أبى إلى الأطباء، ولكن أحدًا منهم لم يقل أنى مريضة؛ جميعهم أكد على سلامة صحتى، وجميعهم أخبر أبى ألا يقلق علىّ فربما شاهدت فيلم رعب وأختلطت علىّ الأحداث..

ولكن مع إصرارى وتأكيدى على أنه عفريت جاء لينتقم منى، أخذنى أبى إلى الشيخ (سالم) والذى يمدحه الجميع على مهارته فى عمله..

ثلاثة أشهر!

تلك هى المدة التى ترددت فيها على الشيخ سالم وأستلزمها علاجى على يديه، ولكن لا فائدة أيضًا؛ لا زالت تفاصيل تلك الليلة المشؤمة محفورة فى ذاكرتى...لا زلت أخاف بل أصبحت أخاف كل شئ تقريبًا..

ثمة شئ ما يجعل صحتى تسوء..

هل أخلف العفريت وعده، وقرر الانتقام، فانتقم؟!

حقًا شئ موسف...هؤلاء العفاريت لا وعد لهم!

وفى ليلة قمرية وبعد صلاة الفجر،وحينما كدت أغرق فى نوم عميق، استقبلت رسالة نصية كُتب فيها:

"إلى الجميلة الذكية:

أعذرينى..أعذرينى كثيرًا..لم أتوقع أنك ستعانين كل هذا جراء كذبة صغيرة! أنتِ من دفعتنى لفعل ذلك؛كان علىّ الذهاب قبل أذان الفجر.. صحيح لم أحصل على شئ من بيتكم، وهذا أمر صعب جدًا على لص يتفانى فى عمله

مثلى..ولكن كل شئ يهون لأجل عينيك العسليتين..كل شئ يهون أيتها الجميلة الذكية"

أنهيت الرسالة فهمست:

_"تبًا لي على حماقتي؛ هل كل ما عانيته بسبب ذكاء ذلك اللص؟!

نبذة عن المؤلفة

شيرين عبدالفتاح أحمد جاد

مصر _ قنا

الدراسة:

- حاصلة على بكالوريوس في العلوم والتربية، جامعة جنوب الوادي بقنا.

_ تمهيدي ماجستير في التربية، تخصص مناهج وطرق تدريس العلوم.

اعمال سابقة:

_قصة قصيرة مجلة قصص وحكايات الأدبية.

أعمال مستقلة:

- لا توجد

في هذا الكتاب ستعرف سبب هدوء النساء غير المبرر. ولماذا لا ننسي كنساء رغم بكائنا ووفرة دموعنا.

إن لم تكن تعرف ماهية نظرية الاحتواء فستعرفها بالتفصيل.

ستعرف سبب القوة الخفية عند المصرين. و ماذا سيحدث بعد الفراق. ستعرف ماذا فعلت نجيبة في المدرسة!

ستعرف سبب عنف وعصبية شريف. ولماذا يضطر العفاريت للسرقة أحيانًا!

عُنف رقيق

مجموعة قصصية

شيرين عبدالفتاح أحمد جاد

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2021